
الرسالة

5 ème Année, No. 199

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 26 - 4 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العـــدد ١٩٩ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ صفر سنة ١٣٥٦ — ٢٦ أبريل سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

من أحاديث الشباب

حول الديمقراطية

— لا يا عزيزي ؛ أنا لا أتابعك على هذا التفسير . إن رأي الامام محمد عبده جلي صريح . وكلمة (ينهض) في قوله المأثور : « لا ينهض الشرق إلا بمستبد عادل » أساس فكرته وعمود رأيه ؛ فان النهوض لا يكون إلا من القعود ؛ والأمة القاعدة أو الراقدة لا يبعثها إلا القرع الشديد والهتاف القوي ؛ ولا يمكن أن يكون هذا القارع الهاتف رأيها العام لأنه مفقود ، ولا ضميرها الاجتماعي لأنه ميت ؛ إنما يكون رسالة من الله على لسان نبي ، أو هداية من الطبيعة على يد مصلح ؛ وتنفيذ الرسالة الالهية ، أو الدعوة الاصلاحية ، يرجع إلى خليفة يحكم بأمر الله ، أو طاغية يحكم برأي نفسه . فاذا كانت الأمة قد نهضت بالفعل ، كان الاستبداد بأمورها كفاً لنزعاتها عن الطموح ، وحبساً لملكاتها عن العمل ؛ لأن النهضة معناها غافل أحس وجوده ، وخامل فهم نفسه ، وجاهل عرف حقه ، وعاطل أبصر واجبه ، وضال وجد سبيله . والحياة التي تسري في أفراد الشعب الناهض ، هي بعينها الحياة التي تجري في أعواد الربيع المنبعث : تتحرك في الأمة

على صوت النذير فى الغفلة ، كما تتحرك فى الطبيعة على هزيم الرعد فى الشتاء. ومتى نفخ الله من روحه فى خمود الحى ، سيره على سنة الوجود وبصره بغاية الحياة ؛ وهنا يكون المستبد مهما عدل سحاباً يحجب النور الذى انبثق ، وسموماً يصوح الزهر الذى تفتح

فقال صاحبى الشاب وقد ألقى باله لما قلت ففترت حماسته بعض الفتور :

ــ ولكن المستبد برأيه أو الحاكم بأمره يختصر الآراء فى رأيه ، ويجمع الأهواء على هواه ، فنأمن التشرد الذى يُضل ، والتردد الذى يعوق ، والتواكل الذى يضعف ، والتساهل الذى يحابى . فقلت له :

ــ ذلك يصح والشعب لا يزال قطيعاً من الحيوان الأبله . لابد له حينئذ من الراعى وعصاه . أما إذا أصبح هذا القطيع أمة لكل فرد من أفرادها كرامة وإرادة ورأى ومصلحة ، فبأى منطق تلغى هذه العقول الملايين التى جُعلت لتفكر ، وتنسخ هذه النفوس الملايين التى خلقت لتريد ، لتجعل مكانها نفساً واحدة تغصب قوة الشعب لتقوده ، وتسرق ثروته لتسوده ، ثم يسرف عليها سلطانها فتتخذ الناس عبيداً والبلاد ضيعة ؟

أنا أفهم أن المرء يُقهر فيخضع ، ويؤسر فيسترق ، لأن الأمر فى ذلك لا يخرج عن قانون الطبيعة من تغلب الأقوى وسيادة الأصلح ؛ ولكنى لا أستطيع أن أفهم كيف يستأسر شعب بأسره لواحد منه ، فيلقى بزمامه إليه ، ويعول فى جميع أموره عليه ، والشعب مهما صغر لا يقل عن شعب ، والفرد مهما كبر لا يزيد على فرد . والقوة والثروة والسلطان هى فى ذلك الجمع الذى فيه الجندى والفلاح والعامل ، لا فى ذلك المفرد الذى فيه السرف والترف والبغى ؟

لقد مات ذلك الإنسان المغفل الذى كان يجعل إلهه حيواناً يربيه ثم يمجده ، أو جماداً يصنعه ثم يعبده

ان الديمقراطية ياصديقى أخلق النظم بكرامة الانسان وسلامة العالم . هبط وحيها على الانسان المفكر الحر فى أثينا ، ثم أصابها ما أصاب رسالات الخير فى الأرض من شيوع الجهالة ، وبلادة الحس ، وأثرة الهوى ، وطغيان الحكم ، فصارت عروساً من عرائس الخيال كالحق والعدل والحرية ، تتمثل فى الأحلام ، وتتراءى فى المنى ، وتُقتل فى سبيلها الأنفس الكريمة ، حتى ظفر بها الأوربى الحديث بطول جهاده وكثرة ضحاياه ووفرة علمه وقوة شعوره ، فأصبح كل فرد بمقتضاها صاحب حق فى الوطن ، وصاحب رأى فى التشريع ، وصاحب صوت فى الحكم ؛ وصار العامل الفقير والصانع الأجير والفلاح المتواضع قادرين على أن يلغوا الوظيفة التى لا تفيد ، ويسقطوا الحكومة التى لا تعدل .

الديمقراطية هى المساواة فى الحق والواجب ، والمشاركة فى الغنم والغرم ، والميدان الحر للكفايات الممتازة لا يعوقها عن بلوغ الأمد فيه عائق من نسب أو لقب أو ثروة . فكيف يجرى فى ذهنك هذا الخاطر وأنت من أصفى الشباب حساً وأنبلهم نفساً وأكثرهم ثقافة ؟

***

لم يجد الشاب فى نفسه ما يقوله ؛ لأن الواقع فى ذهنه هو اضطراب الحيرة لا اختمار الفكرة ، فعبر عن كل ما بقى فى خاطره بهذا السؤال :

ــ وماذا تقول فى موسولينى وهتلر ؟

ــ أقول إنهما مظهر حادٌ من مظاهر الديمقراطيه . كلا الرجلين يعمل بالشعب وللشعب ؛ وكلاهما يمثل قوة الأمة وينفذ إرادة الأمة ؛ وكلاهما يعتقد أن اليد التى استطاعت أن ترفع تستطيع أن تضع .

ولباب الأمر أن تعترف للأمة بالسلطان ثم تظهره بعد ذلك فى أى رجل شئت ، وتحت أى عنوان شئت .

ابتسم صديقى الشاب ابتسامة المقتنع ، وحيا تحية المسلِّم ، ثم قال وهو يضع يده فى يدى : إن جهودنا معشر الشباب كانت مسددة إلى غرض واحد هو استقلال الوطن . فلما أسفر الجهاد عن وجوه الفوز اضطربت الجهود وتشعبت الآراء واحتجنا فى هذا العهد الجديد ، إلى توجيه جديد . فقلت له : ذلك ما ستحاول « الرسالة » علاجه ابتداء من العدد القادم .

احمد حسن الزيات

حيرة العقل

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

أرانى فى هذه الأيام لا أكاد أعرف لى رأياً فى شىء، لا لأنى كففت عن التفكير فلعل الأمر على خلاف ذلك، وعسى أن أكون مسرفاً فى النظر والتدبر وفى التماس الوجوه المختلفة للأمر الواحد الذى يعرض لى، وإنما ترجع حيرتى إلى أن إطالة النظر تكشف لى كل يوم عن جديد، وإلى أن تدبر النواحى المختلفة تجعل الجزم عسيراً، وتغرى بالتردد، وتدفع إلى الشك، ومن طال وزنه للأمور وتقصيه لوجوهها وتأمله فى البواعث والاحتمالات قل بته - وعمله أيضاً - لأن العمل يراد منه الغاية، فلا بد من المجازفة والتعرض لعواقب الخطأ من بعض النواحي. وكل رجل عمل يضطر إلى الأخذ بالأرجح فيما يرى، وإلا تعذر عليه العمل بل استحال. ورجال الحرب والسياسة والمال والتجارة ومن إليهم لا يسعهم إلا المخاطرة لأن غايتهم ليست الاهتداء إلى الحقيقة بل بلوغ الغرض. وكثيراً ما أرانى أسأل نفسى لفرط ما أرى من ترددى وحيرتى، «هل أصبحت غير صالح للعمل؟» ولا يسرّ ذلك فأروح أقول إن قدرة النفس على التكيف لا حد لها فيما أعرف، وإن العمل الذى يحوج إلى سرعة البت والجزم بلا تردد يضطر المرء إلى النزول على مقتضياته، وما أكثر ما تكون مواهب الانسان كامنة، فلا يظهرها إلا انتقال الأحوال به، وأنا مع طول ترددى بين الآراء أرانى مع ذلك أتصرف فى مواقف العمل بسرعة وضبط وإحكام. وليس هذا من الثناء على النفس، ولكنه من الواقع الذى أعرفه بالتجربة

ومن طول حيرتى بين الآراء أصبحت أثق بخطاى ولا أثق بصوابى، وأقدر الضلال فى كل ما أنتهى إليه، ولا أطمئن إلى السداد فيه، ومن أجل ذلك لا أزال أراجع نفسى فى كل قضية، وأنقض اليوم ما أبرمت بالأمس، ولولا أنى معجل فى حياتى لكان الأرجح أن أحجم عن المجاهرة برأى مخافة أن أكون قد أخطأت الصواب فيه. وأنا أعزى نفسى - لو أن فى هذا عزاء - بقول ويندل هولمز - على ما أذكر - إن الحقيقة «كزهر» النرد لها أكثر من وجه واحد، فاذا كنت قد رأيت وجهاً واحداً دون سائر الوجوه فان لى العذر إذا كان هذا كل ما بدا لى، وأين فى الناس من يرى وجوه الحقيقة كلها من كل جانب؟؟

ولهذه الحيرة عللها المعقولة فأنا قد ورثت آراء، وأفدت من مخالطة الناس آراء، واكتسبت من الاطلاع آراء، وكنت أسلم بما ورثت واكتسبت، وأنا فى سن التحصيل، وكنت ربما كابرت بالخلاف فيما أخذته من بيئتى، أما ما كنت أفيده من الكتب فكنت أتلقاه بالاكبار والاقرار، لأنى لم أجد من يهدينى أو يرشدنى. فلا البيت كان لى فيه هذا المعين، ولا المدرسة كنت أجد فيها هذا المعلم الحاذق المرشد. وظل احترامى للكتب على حاله حتى احتجت فى سنة أن أبيعها، وشق على ذلك فى أول الأمر، وكنت لا أكاد أطيق أن أدخل الغرفة التى كانت مرصوصة فيها. وظللت أياماً أحس كلما نظرت إلى الرفوف التى خلت مما كان عليها أنى فقدت أقرب الناس إلى وأعزهم على، وأشعر أنى مشف على البكاء إذا لم أحول عينى عن هذه الرفوف الخالية. ولم يكن ما أتحسر عليه زينتها، وما أضعته فيها من مال خسرته بالبيع، وانما كانت الحسرة على فقدان أساتذتى واخوانى. وبقيت بعد ذلك زمناً لا أمر بمكتبة عامة إلا أشحت بوجهى عنها من فرط الألم، وإلا أحسست أن يداً عنيفة تلوى أحشائى وتحاول أن تقتلعها. وكان من غرائب ما حدث أنى لبثت أكثر من سنة لا أقتنى شيئاً من الكتب كأنما زهدتنى الحسرة على ما ضيعت فى كل جديد غيره

ومن الغريب أن هذا هو نفس الاحساس الذى عانيته لما توفيت زوجتى، فقد ظللت سنوات لا أطيق أن أنظر إلى امرأة، ثم فتر الألم وخفت وطأته، كما هى العادة. وكنت فى خلال ذلك قد احتجت أن أنظر بعينى وأفكر بعقلى فألفيتنى أشك فى كثير مما كنت أسلم به ولا أكابر فيه بل ما كان لا يخطر لى أن أعترض عليه، وتغير الأمر، فبعد

أن كنت آخذ الآراء من الكتب أو الناس ، صرت آخذها من الحياة بلا واسطة ، وأعرضها على عقلي بلا مؤثر فاعتدت الاستقلال في النظر ، والحرية في التفكير ، وخلا تفكيري وإحساسي شيئاً فشيئاً من تأثير الكتب ، وسواها ، وبرزت نفسي بعد طول التضاؤل ؛ ثم أخذت أروض نفسي على التماس الجوانب الأخرى التي تخفى في العادة ، فصارت وجوه الحقيقة تتعدد فيما أرى ، والفت ذلك حتى صار هذا ديدني مع الناس ، فاذا رأيت من صاحب لي ما يسوءني حاولت أن أضع نفسي في مكانه وأن أنظر إلى الأمر بعينه هو ، وأن أتمثل بواعثه وإحساساته إلى آخر ذلك ، فينتهي الأمر في الأغلب بان أعذر ولا ألوم ، ويذهب الألم أو الغضب أو غير ذلك مما أثار صاحبي بما صنع .

بل ترقيت من هذا إلى ما هو أرفع ، فصار نظري إلى الناس نظراً إلى مادة تدرس لا إلى مخلوقات تعاشر ويصدر عنها ما يسوء أو يسر ، ولا شك أن الفعل الحميد يحسن وقعه في النفس ، وأن السوء يؤلم أو يغضب ، وليس يسعني إلا أن أتلقى ما يكون من الناس بالحمد أو الذم ، وبالرضى أو السخط ؛ ولست بإنسان إذا لم يكن هذا شأني ، ولكني أعني أني لا أعجل بالذم والسخط ولا أندفع مع أول الخاطر ، بل أراجع نفسي وأجيل عيني في الأمر لأراه من ناحية غير الناحية التي طالعتني في البداية ، فيتحول الموضوع من عمل أو قول باعث على الرضى أو الامتعاض إلى مادة للتفكير ، وتذهب عنه الصبغة الشخصية ، فكأني أمتحن نظرية ولست أزن صنع إنسان أساء أو أحسن .

ويخيل إلى الآن أني أعيش في معمل ، فكل ما ألقاه في الحياة من خير وشر ، وما أجدني أو أجد سواي فيه ، من جد ولهو ، أتناوله بالتحليل والبحث لأستخلص منه ما يتيسر لي استخلاصه من الحقائق ، ثم أروح أقيسه إلى تجاربي الأخرى وأقارن وأقابل ، ولا أزال أفعل ذلك حتى يهدني التعب ، وقلما أهتدي ، وكثيراً ما أضل ، ولكني لا أسأم ولا أضجر لأن هذا صار متعتي النفسية التي لا أعدل بها متع الدنيا ، بعد أن وجدت نفسي ، وعثرت عليها تحت طبقات الكتب التي بعتها والحمد لله على ما كنت أتوجع وأذم الدنيا من أجله ، فلولا أني بعت هذه الكتب لما وجدت نفسي ، ولكان الأرجح أن أظل كالذي يعبد أصناماً .

والشك حيرة ولكنه حرية ، وسعة الأفق خير من ضيقه ، على الرغم من العناء الذي يكابده المرء من إرسال العين وإدارتها في النواحي الخفية أو البعيدة ، وإنه لعذاب ، وإن جدواه لقليلة ، بالقياس إلى الجهد الذي يبذل فيه ، ولكنه خير وأمتع من التحجر الذي يؤدي اليه التسليم ، بلا نظر ، وحسبك من متعته أنه يريك كل يوم جديداً ، وقد يكون ما تهتدي إليه وتحسبه جديداً ، قديماً جداً في الحقيقة ولكن المتعة في الجهد نفسه لا في النتيجة ، والشأن في هذا كالشأن في الألعاب الرياضية فان الغاية منها ليست الغلبة أو التفوق أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، وإنما العبرة فيها بما تفيده من التدريب وما تكتسبه بفضل الجهد الذي تنفقه فيها ، ولذتها في مزاولتها لا فيما تنتهي به من الفوز وإن كان للفوز قيمته ومزيته ، ولكنه ليس كل ما تزاول الألعاب من أجله

ومتى صار كل شيء مادة للدرس والبحث فقد صارت الحياة أوسع وأرحب ، وصار المرء كأنه يحلق فوقها وإن كان يخوضها ويعانيها ، وهذا ما أروض عليه نفسي الآن - أن أكابد الحياة والناس ، وأن يسعني مع ذلك أن أقف منها ومنهم موقف الناظر المتفرج ، فكأني اثنان لا واحد ، أحدهما يعيش ويجرب ، ويسعد ويشقى ، ويسر ويحزن ، ويجد ويهزل ، ويفعل ما يفعل الناس غيره ؛ وثانيهما يتلقى هذه التجارب وينشرها أمامه ، ويعرضها على عقله ، ويقارنها ويقابلها ، ويفحصها ويضم المتشاكل منها بعضه إلى بعض ، ويجمع ما يمكن أن يأتلف ، ويعمل خياله فيما يراه ناقصاً ليملأ الفراغ ويسد الثغرة ، ويصنع على العموم ما يصنع الكيميائي في معمله الذي يجري فيه تجاربه ، ولا يتأثر بالواقع ، ولا يعنيه ما عاني منه ، وهذا الازدواج عسير ولا شك ، ولست أطمع أن أبلغ منه الغاية وأوفى على الأمد ، ولكني أطمع أن أوفق في بابه إلى الكفاية مع المواظبة والصبر ، ويطمعني في

النجاح أن كل إنسان له أكثر من شخصية واحدة وإن كان لا يدرى ذلك .

ويثقل على نفسى خاطر واحد يكاد يصدنى عن المواظبة ، هو ما جدوى ذلك كله ؟ . . ما آخر هذا العناء الذى أراه باطلا ؟ . آخر ذلك كله معروف . وهل ثم من آخر سوى الفناء ؟ . ولكنى أعود فأقول لنفسى إن هذا الآخر لا آخر سواه ، سواء أبذل المرء الجهد ، أم قعد عنه وضن به ، فلا فائدة من التقصير ، ولا ضير من السعى . والحياة أن تحيا ، لا أن تجمد وتركد وتأسن . أما الجدوى فلماذا أعذب نفسى بالسؤال عنها ؟ وما جدوى أى شىء فى الحياة ؟ . إن كل ما أعرفه أنى موجود ، وأنى وهبت قدرة على الاحساس والتفكير ، فكيف أعطل هذه المواهب وأبطل عملها ؟ . وكيف يمكن أن أنعم بالوجود وأتمتع بالشعور به وأنا أعطل ما أعطيت ؟ ويعرف الجدوى من أعطانى الحياة ، فلندع ذلك له فهو أعرف به .

ابراهيم عبد القادر المازنى

الأســد

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

جلس أبو على أحمد بن محمد الرُّوذَبَارى البغدادى (١) فى مجلس وعظه بمصر بعد وفاة شيخه أبى الحسن بُنَان الحمّال الزاهد الواسطى شيخ الديار المصرية (٢) وكان يُضرب المثل بعبادته وزهده ، وقد خرج أكثر أهل مصر فى جنازته فكان يومه يوما كالبرهان من العالم الآخر لأهل هذه الدنيا ؛ ما بقى أحد إلا اقتنع أنه فى شهوات الحياة وأباطيلها كالأعمى فى سوء تمييزه بين لون التراب ولون الدقيق ، إذ ينظر كل امرئ فى مصالحه ومنافعه مثل هذه النظرة باللمس لا بالبصر ، وبالتوهم لا بالتحقيق ، وعلى دليل نفسه فى الشىء لا على دليل الشىء فى نفسه ، وبالإدراك من جهة واحدة دون الإدراك من كل جهة ؛ ثم يأتى الموتُ فيكون كالماء صُبّ على الدقيق والتراب جميعا فلا يرتاب مبصر ولا أعمى ، ويبطل ما هو باطل ويحق الذى هو حق .

وتكلم أبو على فقال : كنت ذات يوم عند شيخنا الجنيد (١) فى بغداد فجاءه كتاب من يوسف بن الحسن شيخ الرىّ والجبال فى وقته (٢) يقول فيه : لا أذاقك الله طعمَ نفسك فانك إن ذقتها لم تذق بعدها خيراً أبداً . قال : فجعلت أفكر فى طعم النفس ما هو وجاءنى ما لم أرضه من الرأى حتى سمعت بخبر بُنان رحمه الله مع احمد بن طولون أمير مصر ، فهو الذى كان سبب قدومى إلى هنا لأرى الشيخ أو صحبه وأنتفع به .

والبلد الذى ليس فيه شيخ من أهل الدين الصحيح والنفس الكاملة والأخلاق الالهية ، هو فى الجهل كالبلد الذى ليس فيه كتاب من الكتب ألبتة ، وإن كان كل أهله علماء ، وإن كان فى كل محلة منه مدرسة ، وفى كل دار من دوره خزانة كتب ، فلا تغنى هذه الكتب عن الرجال ، فانما هى صواب أو خطأ ينتهى إلى العقل ، ولكن الرجل الكامل صواب ينتهى إلى الروح ، وهو فى تأثيره على الناس أقوى من العلم إذ هو تفسير الحقائق فى العمل الواقع وحياتها عاملةً مرئيةً داعيةً إلى نفسها . ولو أقام الناس عشر سنين يتناظرون فى معانى الفضائل ووسائلها ووضعوا فى ذلك مائة كتاب ، ثم رأوا رجلا فاضلا بأصدق معانى الفضيلة وخالطوه وصحبوه ـ لكان الرجل وحده أكبر فائدة من تلك المناظرة وأجدى على الناس منها وأدلّ على الفضيلة من مائة كتاب ومن ألف كتاب . ولهذا يرسل الله النبىّ مع كل كتاب منزل ليعطى الكلمة قوة وجودها ، ويخرج الحالة النفسية من المعنى المعقول ، وينشئ الفضائل الانسانية على طريقة النسل من إنسانها الكبير .

وما مثل الكتاب يتعلم المرء منه حقائق الأخلاق العالية ، إلا كوضع الانسان يدَه تحت إبطه ليرفع جسمه عن الأرض ، فقد أنشأ يعمل ولكنه لن يرتفع . ومن ذلك كان شر الناس هم العلماء والمعلمين إذا لم تكن أخلاقهم دروسا أخرى تعمل عملا آخر غير الكلام ؛ فان أحدهم ليجلس مجلس المعلم ثم تكون حوله رذائله تعلم تعليما آخر من حيث يدرى ولا يدرى ، ويكون كتاب الله مع الانسان الظاهر منه وكتاب الشيطان مع الانسان الخفى فيه

***

(١) توفى سنة ٣٢٢ (٢) توفى سنة ٣١٦

(١) توفى سنة ٢٩٨ (٢) كانت وفاته سنة ٣٠٤

قال أبو على : وقدمتُ إلى مصر لأرى أبا الحسن وآخذ وأحقق ماسمعت من خبره مع ابن طولون . فلما لقيته لقيت رجلا من تلاميذ شيخنا الجنيد يتلألأ فيه نوره ويعمل فيه سره ؛ وهما كالشمعة والشمعة فى الضوء وإن صغرت واحدة وكبرت واحدة . وعلامة الرجل من هؤلاء أن يعمل وجوده فيمن حوله أكثر مما يعمل هو بنفسه ، كأن بين الأرواح وبينه نسباً شابكا ، فله معنى أبوة الأب فى أبنائه لا يراه من يراه منهم إلا أحسّ أنه شخصه الأكبر . فهذا هو الذى تكون فيه التكملة الإنسانية للناس وكأنه مخلوق خاصة لاثبات أن غير المستطاع مستطاع .

ومن عجيب حكمة الله أن الأمراض الشديدة تعمل بالعدوى فيمن قاربها أو لامسها ، وأن القوى الشديدة تعمل كذلك بالعدوى فيمن اتصل بها أو صاحبها ، ولهذا يخلق الله الصالحين ويجعل التقوى فيهم إصابة كاصابة المرض تصرف عن شهوات الدنيا كما يصرف المرض عنها ، وتكسر النفس كما يكسرها ذاك ، وتفقد الشيء ماهو به شيء ، فتتحول قيمته . فلا يكون بما فيه من الوهم بل بما فيه من الحق .

واذا عدم الناس هذا الرجل الذى يعديهم بقوته العجيبة فقلّما يصلحون للقوة ، فكبار الصالحين وكبار الزعماء وكبار القواد ، وكبار الشجعان ، وكبار العلماء وأمثالهم ؛ كل هؤلاء من باب واحد ، وكلهم فى الحكمة ككبار المرضى

* * *

قال أبو على : وهممت مرة أن أسأل الشيخ عن خبره مع ابن طولون فقطعتنى هيبته ، فقلت أحتال بسؤاله عن كلمة شيخ الرى « لا أذاقك الله طعم نفسك » . وبينما أهيىء فى نفسى كلاما أجرى فيه هذه العبارة ، جاء رجل فقال للشيخ : لى على فلان مائة دينار وقد ذهبت الوثيقة التى كتب فيها الدين وأخشى أن ينكر اذا هو علم بضياعها ؛ فادع الله لى وله أن يظفرنى بدينى وأن يثبته على الحق . فقال الشيخ : إنى رجل قد كبرت وأنا أحب الحلوى ، فاذهب فاشتر لى رطلا منها وأمتعنى به حتى أدعو لك .

فذهب الرجل فاشترى الحلوى ووضعها له البائع فى ورقة فإذا هى الوثيقة الضائعة . وجاء إلى الشيخ فأخبره ، فقال له : خذ الحلوى فأطعمها صبيانك لا أذاقنا الله طعم أنفسنا فيما نشتهى . ثم إنه التفت إلى وقال لو أن شجرة اشتهت غير مابه صحة وجودها وكمال منفعتها فأذيقت طعم نفسها ، لأكلت نفسها وذوت

* * *

قال أبو على : والمعجزات التى تحدث للأنبياء والكرامات التى تكون للا تقياء ، وما يخرق العادة ويخرج عن النسق ، كل ذلك كقول القدرة عن الرجل الشاذ : هو هذا . فلم تبق بى حاجة إلى سؤال الشيخ عن خبره مع ابن طولون ، وكنت كأنى أرى بعينى رأسى كل ما سمعت ، بيد أنى لم أنصرف حتى لقيت أبا جعفر القاضى أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى [1] ذاك الذى يحدث بكتب أبيه كلها من حفظه وهى واحد وعشرون مصنفا فيها الكبير والصغير . فقالى لى : لعلك اشتفيت من خبر بنان مع ابن طولون فمن أجله زعمت ـ جئت إلى مصر . قلت : إنه تواضع فلم يخبرنى وهبته فلم أسأله . قال : تعال أحدثك الحديث .

كان أحمد بن طولون [2] من جارية تركية وكان طولون أبوه مملوكا حمله نوح بن أسد عامل بخارى إلى المأمون فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك . فولد أحمد فى منصب ذلة تستظهر بالطغيان ، وكانت هاتان طبيعتيه إلى آخر عمره ، فذهب بهمته مذهبا بعيدا ، ونشأ من أول أمره على أن يتم هذا النقص ويكون أكبر من أصله ، فطلب الفروسية والعلم والحديث ، وصحب الزهاد وأهل الورع ، وتميز على الأتراك وطمح إلى المعالى ، وظل يرى بنفسه وهو فى ذلك يكبر ولا يزال يكبر كأنما يريد أن ينقطع من أصله ويلتحق بالأمراء ، فلما التحق بهم ظل يكبر ليلحق بالملوك ، فلما بلغ هؤلاء كانت نيته على مايعلم الله

قال : وكان عقله من أثر طبيعتيه كالعقلين لرجلين مختلفين فله يد مع الملائكة ويده الأخرى مع الشياطين ، فهو الذى بنى المارستان وأنفق عليه وأقام فيه الأطباء وشرط إذا جىء بالعليل أن تنزع ثيابه وتحفظ عند أمين المارستان ، ثم يلبس

(١) توفى سنة ٣٢٢

(٢) كانت امارة ابن طولون نحو ٢٦ سنة وتوفى سنة ٢٧٠

ثياباً ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ ، ولم يكن هذا قبل إمارته . وهو أول من نظر فى المظالم من أمراء مصر . وهو صاحب يوم الصدقة ، يكثر من صدقاته كلما كثرت نعمة الله عليه ، ومراتبه لذلك فى كل أسبوع ثلاثة آلاف دينار سوى مطابخه التى أقيمت فى كل يوم فى داره وغيرها ، يذبح فيها البقر والكباش ويغرف للناس . ولكل مسكين أربعة أرغفة يكون فى اثنين منها فالوذج[1] وفى الآخرين من القدور ، وينادى من أحب أن يحضر دار الأمير فليحضر . وتفتح الأبواب ويدخل الناس وهو فى المجلس ينظر إلى المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته . وكان راتب مطبخه فى كل يوم ألف دينار ، واقتدى به ابنه خمارويه ، فأنشأ بعده مطبخ العامة[2] ينفق عليه ثلاثة وعشرين ألف دينار ، كل شهر

وقد بلغ ما أرسله ابن طولون إلى فقراء بغداد وعلمائها فى مدة ولايته ألفى ألف ومائتى ألف دينار[3] وكان كثير التلاوة للقرآن ، وقد اتخذ حجرة بقربه فى القصر وضع فيها رجالا سماهم بالمكبرين ، يتعاقبون الليل نوباً ، يكبرون ويسبحون ، ويحمدون ، ويهللون ، ويقرأون القرآن تطريباً وينشدون قصائد الزهد ، ويؤذنون أوقات الآذان ، وهو الذى فتح انطاكية فى سنة خمس وستين ومائتين ثم مضى إلى طرسوس كأنه يريد فتحها ، فلما نابذه أهلها وقاتلهم ، أمر أصحابه أن ينهزموا عنها ليبلغ ذلك طاغية الروم ، فيعلم أن جيوش ابن طولون على كثرتها وشدتها لم تقم لأهل طرسوس فيكون بهذا كأنه قاتله وصده عن بلد من بلاد الاسلام ويجعل هذا الخبر كالجيش فى تلك الناحية

ومع كل ذلك فانه كان رجلا طائش السيف يجور ويعسف وقد أحصى من قتلهم صبراً أو ماتوا فى سجنه فكانوا ثمانية عشر ألفا . وأمر بسجن قاضيا بكار بن قتيبة فى حادثة معروفة وقال له : غرك قول الناس ما فى الدنيا مثل بكار ؟ أنت شيخ قد خرفت ؛ ثم حبسه وقيده وأخذ منه جميع عطاياه مدة ولايته القضاء . فكانت عشرة آلاف دينار ؛ قيل إنها وجدت فى بيت بكار بختمها لم يمسها زهداً وتورعا

ولما ذهب شيخك أبو الحسن يعنفه ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر طاش عقله فأمر بالقائه إلى الأسد ، وهو الخبر الذى طار فى الدنيا حتى بلغك فى بغداد

* * *

قال : وكنت حاضر أمرهم ذلك اليوم ، فجىء بالأسد من قصر ابنه خمارويه . وكان هذا خمارويه مشغوفاً بالصيد لا يكاد يسمع بسبع فى غيضة أو بطن واد إلا قصده ومعه رجال عليهم لبود ، فيدخلون إلى الأسد ويتناولونه بأيديهم من غابه عنوة وهو سليم فيضعونه فى أقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع وهو قائم

وكان الأسد الذى اختاروه للشيخ أغلظ ما عندهم ، جسيما ، ضارياً ، عارم الوحشية ، متزيل العضل ، شديد عصب الخلق ، هراساً ، فراساً ، أهرت الشدق ، يلوح شدقه من سعته وروعته كفتحة القبر ينبىء أن جوفه مقبرة ، ويظهر وجهه خارجاً من لبدته ، يهم أن ينقذف على من يراه فيأ كله .

وأجلسوا الشيخ فى قاعة وأشرفوا عليه ينظرون ، ثم فتحوا باب القفص من أعلاه ، فجذبوه فارتفع ؛ وهجهجوا بالأسد يزجرونه فانطلق يزمجر ويزأر زئيراً تنشق له المرائر ويتوهم من يسمعه أنه الرعد وراءه الصاعقة .

ثم اجتمع الوحش فى نفسه واقشعر ، ثم تمطى كالمنجنيق يقذف الصخرة ، فما بقى من أجل الشيخ إلا طرفة عين . ورأيناه على ذلك ساكناً مطرقاً لا ينظر إلى الأسد ولا يحفل به ، وما منا إلا من كاد ينهتك حجاب قلبه من الفزع والرعب والاشفاق على الرجل .

ولم يرعنا إلا ذهول الأسد عن وحشيته فأقعى على ذنبه ثم لصق بالأرض هنيهة يفترش ذراعيه ، ثم نهض نهضة أخرى كأنه غير الأسد ، فمشى مترفقاً ثقيل الخطو تسمع لمفاصله قعقعة من شدته وجسامته ، وأقبل على الشيخ وطفق يحتك به ويلحطه ويشمه كما يصنع الكلب مع صاحبه الذى يأنس به ، وكأنه يعلن أن هذه ليست مصاولة بين الرجل

---

(١) نوع من الحلوى وهو ما يسميه العامة (البالوظة)

(٢) هذا هو الأصل فى مطعم الشعب

(٣) الدينار نصف جنيه مصرى فعدة ذلك مليون ومائة ألف جنيه ، صدقاته على بغداد وحدها رحمه الله

التقى والأسد ، ولكنها مبارزة بين إرادة ابن طولون وإرادة الله .

وضربته روح الشيخ فلم يبق بينه وبين الآدمى عمل ، ولم يكن منه بازاء لحم ودم ، فلو أكل الضوء والهواء والحجر والحديد ، كان ذلك أقرب وأيسر من أن يأكل هذا الرجل المتمثل فى روحانيته لا يحس لصورة الأسد معنى من معانيها الفاتكة ، ولا يسرى فيه إلا حياة خاضعة مسخرة للقوة العظمى التى هو مؤمن بها ومتوكل عليها كحياة الدودة والنملة ، وما دونها من الهوام والذر .

وورد النور على هذا القلب المؤمن يكشف له عن قرب الحق سبحانه وتعالى ، فهو ليس بين يدى الأسد ولكنه هو والأسد بين يدى الله ، وكان مندمجا فى يقين هذه الآية : « واصبر لحكم ربك فانك بأعيُنِنَا » .

ورأى الأسد رجلا هو خوف الله ، فخاف منه ، وكما خرج الشيخ من ذاته ومعانيها الناقصة خرج الوحش من ذاته ومعانيها الوحشية ، فليس فى الرجل خوف ولا هم ولا جزع ولا تعلق برغبة ، ومن ذلك ليس فى الأسد فتك ولا ضراوة ولا جوع ولا تعلق برغبة .

ونسى الشيخ نفسه فكأنما رأى الاسد ميتاً ولم يجد فيه (أنا) التى يأكلها ، ولو أن خطرة من هم الدنيا خطرت على قلبه فى تلك الساعة أو اختلجت فى نفسه خالجة من الشك ، لفاحت رائحة لحمه فى خياشيم الأسد فتمزق فى أنيابه ومخالبه

***

قال : وانصرفنا عن النظر فى السبع إلى النظر فى وجه الشيخ فاذا هو ساهم مفكر ، ثم رفعوه وجعل كل منا يظن ظناً فى تفكيره ، فمن قائل انه الخوف أذهله عن نفسه ، وقائل إنه الانصراف يعقله إلى الموت ، وثالث يقول إنه سكون الفكرة لمنع الحركة عن الجسم فلا يضطرب ، وزعم جماعة أن هذه حالة من الاستغراق يسحر بها الأسد . وأكثرنا فى ذلك وتجارينا فيه حتى سأله ابن طولون : ما الذى كان فى قلبك وفيم كنت تفكر ؟

فقال الشيخ : لم يكن على بأس ، وانما كنت أفكر فى لعاب الأسد أهو طاهر أم نجس ......

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

القاهرة المعزية

وجوب الاحتفاء بعيدها الألفى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

منذ أعوام قلائل احتفلت فرنسا بذكرى إحدى مدنها العتيقة ، وهى مدينة قرقشونة (كاركاسون) الرومانية لمناسبة مضى ألفى عام على قيامها ؛ وما زلنا نذكر ما أفاضت به الأنباء يومئذ طرافة هذا الاحتفال وروعته وأهميته من الوجهة القومية . وقرقشونة احدى مدن ولاية « سبتمانيا » السبعة ، وقد كانت مدى حين معقلا اسلاميا فى جنوب فرنسا ؛ وما زالت على صغرها وتواضعها شهيرة بآثارها الرومانية وتاريخها الحافل أيام الرومان والقوط والعرب

وإن مصر لتستطيع أن تفخر بمدنها الألفية عنوان تراث مجيد وحضارة خالدة ؛ ويكفى أن نذكر فى هذا المقام عاصمتيها الجليلتين ، الاسكندرية ثغرها العظيم التالد ، والقاهرة عروس العواصم الاسلامية ؛ فقد قطعت الإسكندرية من عمرها المديد أكثر من ثلاثة وعشرين قرنا ؛ وأشرفت القاهرة على ألفها ؛ وإذا كانت العاصمة الكبرى تقترب من عيدها الألفى بخطى سريعة فان من بواعث الأسف أن يقترب هذا اليوم التاريخى العظيم دون أن تتأهب مصر للاحتفاء به واحاطته بما يجب من ضروب الاشادة والتكريم ؛ ومن بواعث الأسف ألا يرتفع حتى اليوم صوت رسمى ينبه إلى هذا الحادث القومى الجليل ، وينوه بخطورته وأهميته ، ويدعو المختصين إلى الاهتمام بأمره

ولقد احتفلت مصر بالأمس بالعيد المئوى لوزارة معارفها ، واحتفلت من قبل بالعيد المئوى لمدرسة الطب ، والعيد المئوى للمدرسة الخديوية ، والعيد الخمسينى لإنشاء المحاكم الأهلية ، وغيرها من المواقف والحوادث القومية ، وأدركت ماوراء الاحتفاء بهذه المناسبات التاريخية من بعث للماضى ، وتكريم للذكريات المجيدة ، وإذكاء للعاطفة القومية ، ووصل بين

مراحل تاريخنا . بيد أن هـذه الذكريات والمناسبات الحافلة تبـدو ضئيلة متواضعة إلى جانب الاحتفاء بالعيد الألفي لمدينة القاهرة

ذلك أن الاحتفاء بالعيـد الألفي للقاهرة المعزية يعتبر حادثاً منقطع النظير في تاريخ مصر الاسلامية . وليس بين عواصم العالم الكبرى سوى مدن قلائل قطعت عمرها الألفي؛ وأشهرها وأعظمها من الوجهة التاريخية هي بلا ريب أثينه والاسكندرية وروميه وقسطنطينية . وإذا كان العالم الاسلامي يضم عدة مدن ألفية أخرى ، فانه ليس بينها من تضارع القاهرة في ضخامتها وجلالها وأهميتها السياسية والفكرية والاجتماعية

ألف عام هجرية كادت تنقضي على قيام المدينة الفاطمية المتواضعة ، القاهرة المعزية أو قاهرة المعز لدين الله ؛ ففي ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ « ٧ يوليه سنة ٩٦٩ م » دخلت الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر الصقلي قائد المعز الفاطمي مدينة مصر أو مدينة الفسطاط غازية ظافرة ، وعسكرت عند مغيب الشمس في الفضاء الواقع في شمال غربي الفسطاط ؛ وفي نفس الليلة وضع القائد جوهر تنفيذاً لأوامر المعز أول خطة في مواقع المدينة الجديدة التي اعتزم الفاطميون إنشاءها بمصر لتكون لهم منزلا ومعقلا . وحفر أساس قصر جديد في نفس الفضاء الذي نزل فيه جيشه ، فكان هذا مولد القاهرة التي سميت كذلك تفاؤلا وتيمناً بالنصر ؛ وقامت المدينة الجديدة بسرعة تتوسطها القصور الفاطمية والجامع الأزهر الذي أنشيء بعد ذلك بأشهر قلائل (في جمادى الأولى سنه ٣٥٩) ليكون منبراً للدولة الجديدة وملاذاً لدعوتها ؛ ولم تلبث أن غدت منزل الخلافة الفاطمية منذ قدم المعز لدين الله إلى مصر بأمواله وأهله وبطانته وتوابيت أجداده ، واستقر في عاصمته الجـديدة في رمضان سنة ٣٦٢ هـ (يونيه سنة ٩٧٣ م)

ولبثت القاهرة مدى حين ملوكية عسكرية لا تضم سوى القصر الفاطمي ودواوين الحكم وخزائن المـال والسلاح ومساكن الأمراء والبطانة ومن إليهم من الأتباع النازحين في ركب الغزاة ؛ ولكن لم يمض جيل واحد حتى اتسعت جنبات المدينة الجديدة ونمت نمواً عظيما وترامت معالمها وأحياؤها إلى ماوراء السور الذي أنشأه حولها القائد جوهر واتصلت بمدينة مصر (الفسطاط) وامتزجت المدينتان وتداخلتا وصارتا تكونان معا مدينة من أكبر وأعظم مدن الاسلام في العصور الوسطى . وكان اسم القاهرة يطلق اصطلاحا على المدينة الفاطمية التي يضمها السور الذي أنشأه القائد جوهر ثم وسعه وأعاد إنشاءه أمير الجيوش بدر الجمالي في أواخر عهد المستنصر بالله (سنة ٤٨٦ هـ) وأدخل فيه عدة أحياء ومواقع جديدة : وأما المناطق التي بقيت خارج السور والتي كانت تمتد فيما بين الجامع الطولوني وقلعة الجبل إلى الجهة المقابلة على ضفة النيل ، فكانت تعرف بظاهر القاهرة ، وكان اسم مصر يطلق دائما على الفسطاط القديمة ، ويطلق على المدينتين معاً « مصر القاهرة »

وما زالت معالم القاهرة المعزية وحدودها القديمة قائمة يحدها من الشمال موقع باب الفتوح وباب النصر والسور الذي يصلهما وهو بقية من سور أمير الجيوش بدر الجمالي ، ويحدها من الجنوب باب زويلة ، ومن الشرق سفح الجبل ، ومن الغرب موقع الخليج القديم ، وما يلي ذلك حتى ضفة النيل ، وما يزال الجامع الأزهر قائما وسط المدينة القديمة حيث قام منذ ألف عام تحيط به معظم الأحياء والدروب الفاطمية القديمة بعد أن تغيرت أسماؤها ومعالمها

ولقد شهدت القاهرة في ظل الخلافة الفاطمية ألواناً من العظمة والبهاء والبذخ قلما شهدتها في ظل دولة اسلامية أخرى ؛ ومع أنها نمت بعد ذلك نمواً عظيما ، واتسعت جنباتها وأحياؤها حتى غدت في القرن التاسع الهجري اضعاف ما كانت عليه أيام الفاطميين ، فانها لم تسطع بمثل ما سطعت في عهدها الأول ، ولم تشهد مثل ما شهدت فيه من مواكب الخلافة الفخمة ، ورسومها وأعيادها الباذخة ولياليها وحفلاتها الباهرة ؛ كانت القصور الفاطمية آية الفخامة والبهاء وإن الخيال ليضطرم إلى الذروة حينما يستعرض تلك الصور الرائعة التي تقدمها الينا الروايات المعاصرة من عظمة الخلافة الفاطمية وروعتها في مظاهرها العامة ، وعن حياة الخلفاء

الخاصة داخل القصر وأبهائه وأجنحته المنيفة . وقد كان القصر الزاهر يشرف من الغرب على ميدان شاسع يسع عشرات الألوف من الجند والنظارة يعرف بميدان بين القصرين ، وهو اسم شهير في تاريخ القاهرة المعزية شهرة ميدان « القديس مرقص » (سان ماركو) في تاريخ البندقية ، وقد سمي كذلك لوقوعه بين القصر الفاطمي الكبير والقصر الصغير المواجه له وهو المعروف بالقصر الغربي ؛ وقد لبث « بين القصرين » أيام الدولة الفاطمية مسرحاً لأعظم المواكب والمظاهرات الخلافية والعسكرية ، والحفلات العامة ، ولبث بعد زوال الدولة الفاطمية عصراً أعظم ميادين القاهرة ، وأزخرها عمارة وأشدها احتشاداً ، وإنك لتستطيع أن تتبع كثيراً من أخبار الخلافة الفاطمية والشعب القاهري في ميدان ما بين القصرين ، كما تستطيع أن تتبع كثيراً من أخبار الجمهورية البندقية في ميدان القديس مرقص ، كلاهما امتزج بحياة الدولة والشعب ، واتخذ مكانة فيها .

***

ومنذ بضعة أعوام شعرت بعض الجهات الرسمية بأن الجامع الأزهر يدنو من عمره الألفي . وفكرت في أن تحتفل بهذا العيد احتفالا عظيما يتفق مع روعته التاريخية ، ووضع بالفعل برنامج لتنظيم هذا الاحتفال . وانتدبت لجنة لوضع تاريخ شامل للأزهر منذ قيامه إلى يوم عيده ، ثم وقف المشروع لأسباب غير معروفة ؛ بيد أن الذي يثير الدهشة حقاً ، هو أن تخطر للقائمين بالأمر فكرة الاحتفال بالعيد الألفي للجامع الأزهر دون أن تخطر لهم فكرة الاحتفال بالعيد الألفي لمدينة القاهرة ، مع أن القاهرة تسبق الأزهر في مولدها بعدة أشهر ؛ وقد أنشئ الأزهر في الأصل ، لا ليكون جامعة للدراسة ، ولكن ليكون مسجداً للعاصمة الفاطمية الجديدة وليكون منبراً للدولة الجديدة ومعقلا لدعوتها

فاذا كان مما يحمد أن فكر القائمون بالأمر في تخليد الذكرى الألفية للجامع الشهير ، فان ما يبعث إلى الأسف أن يفوتهم حتى اليوم التفكير في تخليد ذكرى القاهرة الألفية ؛ وهذه الذكرى الخالدة تدنو بسرعة . فقد وضعت أسس العاصمة الفاطمية كما رأينا في منتصف شعبان سنة ٣٥٨ هـ ففي منتصف شعبان سنة ١٣٥٨ هـ ، أعني بعد نحو عامين ونصف فقط تبلغ القاهرة المعزية عمرها الألفي المديد

وبعد أشهر قلائل من ذلك التاريخ ، أعني في جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ هـ يبلغ الجامع الأزهر عمره الألفي أيضاً ، إذا اعتبرنا تاريخ البدء في إنشائه وهو جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ

وانه لمن بواعث الفخر حقاً أن يكون تاريخنا حافلا بمثل هذه الذكريات العظيمة التي هي عنوان تراث قومي مؤثل

فعلينا أن نفكر ملياً في الاحتفاء بهذين العيدين القوميين الجليلين وإذا كان قد فاتنا حتى اليوم أن تؤلف للاحتفاء بهما اللجان الخاصة ، وأن نضع البرامج اللائقة ، فان ما يزال ثمة متسع من الوقت لتحقيق هذه الأمنية ؛ ولقد ارتبط اسم القاهرة المعزية والأزهر دائما حتى أنه ليكفي أن تؤلف هيئة واحدة للقيام بهذه المهمة ، فتضع للاحتفال بعيد القاهرة الالفي برنامجا خاصا وتضع برنامجا آخر للاحتفال بالعيد الألفي للجامع الأزهر ، يراعى في كل منهما ظروفه ومناسباته الخاصة ؛ ومن الطبيعي أن يحتوي البرنامج على وضع تاريخ ألفي شامل لمدينة القاهرة وتاريخ شامل للجامع الأزهر ؛ وأن تنظم في العيدين طائفة من المهرجانات العلمية والاجتماعية الباهرة وأن يدعى لعيد القاهرة رؤساء البلديات في جميع المدن الكبرى ممثلين لحكوماتهم ومدنهم ، كما يدعى لعيد الأزهر ممثلو الجامعات في جميع أنحاء العالم ، وأن ينظم بهذه المناسبة حج خاشع إلى معالم القاهرة المعزية وآثارها الباقية ومنها الجامع الأزهر ، وأن تقام بها الأعمدة واللوحات التذكارية المختلفة ، وأن تفتتح بهذه المناسبة طائفة من المشاريع العلمية والخيرية

وانه لما يسبغ على هـذه الاحتفالات روعتها وجلالها ، أن تقام إلى جانب هذه المعالم الخالدة وفيما بينها .

فهل يحدث هذا النداء المتواضع أثره ؛ وهل يبادر أولو الأمر فيتخذوا الاهبة العاجلة لتحقيق هـذه الأمنية القومية الرفيعة ؛ وهل تشهد القاهرة المعزية ، ويشهد الأزهر كلاهما عيده الألفي في فيض من الروعة والجلال ؛ أم تغيض هذه الذكريات العظيمة في غمر الجدل والمناقشات العقيمة ؟

محمد عبد الله عنان

في الأدب المقارن

أثر المجتمع

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

إنما يقصد الأديب فيما ينشيء إلى التعبير عن شعوره وأفكاره لأنه يحس حافزاً يدفعه إلى ذلك التعبير، ويشعر براحة وغبطة إذا ماطاوع ذلك الحافز، بيد أنه يتأثر في كل مايحس ويفكر ويكتب ببيئته الجغرافية ووسطه الاجتماعي وجيله الذي يحيا فيه، لامندحة له مهما بلغ من استقلال الشخصية والاصالة في الابتكار عن التأثر بكل ذلك، بل لانغالي إذا قلنا إن عبقرية الأديب ليست إلا مجموعة مؤلفة من تلك العوامل، والأديب الذي يعتزل مجتمعه لايتأثر به سائر أدبه إلى الاضمحلال وأن يكون سطحيا، وكلما كان الأدب صادقا حيا كانت صلته بمجتمعه شديدة التوثق، وكان هو مرآة لذلك المجتمع واضحة، وإن لم يمنعه ذلك أن يزخر بآثار الفردية القوية والشخصيات المتميزة

فالأديب يتأثر بالمجتمع تأثراً تلقائياً غير مقصود ولا محسوس أحيانا، ثم هو يتأثر به تأثرا واعيا مقصودا، وذلك حين يلجأ الأديب عمدا إلى وصف ما يحيط به من أحوال المجتمع، وما يحمد منها وما يذم، ومن يصادفهم ويخالطهم في المجتمع من أفراد ذوي خلائق متباينة، يلذ للأديب أحيانا عرض كل ذلك في أدبه كما تعرض الصور والدمى في المعارض والمتاحف، ويغتبط أي اغتباط بقدرته على تصوير ماراءه من تلك الحقائق والسلائق على ماهي عليه، وقد يزيد فيجلوها في مجلى الفكاهة والسخرية، أو يزيد فيندد بما يرى من مساويء ويدعو إلى الاصلاح ويوضح وسائله، ويؤلف لنفسه مبادىء يرضاها في السياسة والاجتماع والاقتصاد والدين وهلم جرا، ولا يعود معبرا عن شعور الفرد فحسب، بل يصبح قائد فكر بين الجماعة كذلك

هكذا يصبح للأدب غرض اجتماعي إصلاحي، ولا ريب أن غرض الأدب الأول هو غرض كل الفنون، من التعبير الصحيح عن صادق الشعور بحقائق الحياة وجمالها، فاذا ماظهر بجانب ذلك غرض اجتماعي أصبح للأدب غرضان، بيد أنهما لايتنافران بل يأتلفان في يد الأديب القدير أحسن ائتلاف، ويصوران الحياة أصدق تصوير وأجمله، أما في يد الداعية المتحمس لدعوته الاجتماعية دون كبير احتفال بجمال الفن وروعة الاسلوب، فيوشك أن يخرج الأثر المنشأ من عالم الأدب إلى حيز العلم، فيندرج تحت عنوان الاقتصاد أو التربية او السياسة أو غير ذلك، أما الأدب الصميم فلا غنى له عن الجمال والصبغة الفنية، ووظيفته الكبرى في بيان الشعور وما اتصل به من أفكار

وتدبر أحوال المجتمع ونقد أخلاق بنية لاشك مجال للأدب رحيب، ومسرح لفن الأديب خصيب، ومهما تغيرت أحوال المجتمعات على تتابع الأجيال، فإن طباع الانسان المركبة فيه واحدة لاتتغير، ومظاهره من كرم ولؤم ونبل وادعاء وغرور ونفاق، وولع بالمظاهر وتفاخر بالنعمة المحدثة، كل هاتيك أمور تتكرر ولا تتبدل، وتبدو في شتى الأشكال والازياء وهي في الصميم سواء، ومن ثم نرى صورا لها في شتى آداب الامم على تباعد عصورها ومنازلها: فالمسيو جوردان المحدث النعمة الذي رسمه موليير متعثرا في أذيال ثروته مكاثرا بها في سذاجة، هو أحد «النوابين» المحدثي النعمة الذين اولع بتصويرهم كتاب الدرامة الانجليز في أواخر القرن الثامن عشر، وهو هو ذلك المحدث النعمة الذي صدع رأس عيسى بن هشام في المقامة المضيرية بتعداد محتويات بيته وأثمانها ومزاياها؛ فالأديب الحاذق يفطن إلى الخطوط الرئيسية في الصورة الشخصية التي يبغي رسمها، فاذا ماصورها لم تكن صورة فرد من الافراد، بل جاءت صورة ضرب من الناس في شتى الأمم والعصور

وقد ترك المجتمع آثاره الواضحة على تعاقب العصور في الأدبين العربي والانجليزي، واختلط ادباهما بتاريخيهما اختلاطا شديدا، ولا غرو فالأدب من بين الفنون أشدها بالحياة اليومية والأحوال الاجتماعية والأحداث السياسية ارتباطا، وتبينت في ذينك الأدبين سمات الأجيال المتتابعة، وكثرت فيهما النظرات الاجتماعية كما كثرت التأملات الفردية، وقام فيهما من الاثار ما قوامه تدبر أحوال المجتمع ونقد أخلاق أبنائه، بجانب الاثار التي قوامها نظر الأديب في ذات نفسه وبوحه بأشجانه واطرابه؛ بيد أن الأدب الانجليزي كان أبعد في تناول الشؤون الاجتماعية مدى، وكان أدباؤه أكثر شغلا بالدعوة إلى الاصلاح، وإن لم يهملوا التعبير عن خوالجهم الفردية، ولم يقصروا في تصوير شخصياتهم المستقلة

ترى طابع العصر الاليزابثي في أدب شكسبير ومعاصريه:

فهو عهد فتوح ومغامرات ، فامتلأت رواياته التمثيلية بذكر الشجعان والأسفار والحماسة الوطنية وتاريخ انجلترا ، وهو عصر لم تبدد الثقافة بعد أوهام سواد أبنائه ، فسرحياته تعج بذكر الشياطين والسحرة والأشباح والعرافة والتطير ، ولم تكن نفوس أبناء ذلك العصر قد رقت ولا أذوقهم قد صقلت ، ولذلك تكثر فى رواياته المذابح والمبارزات وسفك الدماء ؛ وكان عهد تعصب دينى ، ومن ثم يسخر أدباؤه من أبناء النحل الأخرى كاليهود ، ولم يكن الحكم الدستورى قد توطد بعد ، وما تزال للملك اليد الطولى والكلمة العليا فى السياسة الداخلية والخارجية ، ومن ثم ينسج شكسبير لنفسه فى روايه هنرى الرابع وغيرها نظرية سياسية قوامها الملكية المستبدة العادلة ، ويعدها اساس نظام الكون

ونرى أثر عهد الإصلاح الدينى فى انجلترا فى أدب عهد المطهرين : إذ خفت صوت الأدب وغيره من الفنون التى لا يطمئن إليها عادة المتشددون من المتدينين ، واتصف الأديبان الكبيران اللذان ظهرا إذ ذاك - ملتون وبنيان - بالاهتمام بالشئون الدينية والتأثر بالكتاب المقدس موضوعا وأسلوبا ؛ ونرى أثر عصر المجون الذى تلا ذلك فى مسرحياته المملوءة بالسقاط ؛ حتى إذا ما أشرق العصر التالى وقد اطمأنت النظم الدستورية وانتشرت الثقافة والثروة فى جمهور الشعب أوغل الادب فى تناول الشئون الاجتماعية ، ولم يقنع بالاشكال الموجودة أصلا ، فاتخذ لنفسه شكلا ادبيا هو أليق لتصوير المجتمع ونقده وهو القصة ؛ وفى قصة القرن الثامن عشر وفى شعره يتجلى ما كان يسود مجتمع ذلك العهد من تأنق وتصنع ، وحرص على تعلم اللغات وممارسه بعض الفنون ، ويجرى ذكر خروج الارستقراط للصيد بخيلهم وكلابهم ، ويبدو مع ذلك ما كان يتخلل المجتمع من نفاق ورذيلة وإدمان للشراب وإفراط فى الطعام وما كان يعصف بالطرق العامة من عبث الأشقياء

اتخذت القصة وسيلة لوصف المجتمع ، وقد أدت غرضها ذاك خير أداء ، وكيف لا تؤديه والقصة فى يد الأديب الحصيف ليست إلا قطعة من المجتمع الحى المتحرك منقولة على القرطاس ؟ قطعة من المجتمع طوع بنان الاديب يؤلفها كيف شاء ويرسم بها من الأشخاص من شاء ويبرز بها من الآراء ما يختار ، فلا غرو ازدادت القصة الاجتماعية رقيا وذيوعا فى القرن التالى ، بازدياد المبادىء الديمقراطية انتشارا أعقب الثورة الفرنسية ، وانتشار التعليم العام ، وتعقبه مشاكل المجتمع بظهور الصناعة الكبيرة ، وانتشار المذاهب الاجتماعية والاقتصادية الخطيرة كالاشتراكية والشيوعية ، ونزاع الرأسماليين والعمال ، ونهضة المرأة ورقى علوم الاجتماع والنفس والتربية ، وخاض الأدباء غمار كل هاتيك الحركات والتيارات المتضاربة ، ونقلوا فى غضون قصصهم صور هاتيك المعارك الفكرية والأحوال المادية ، وفى قصص مريديث ودكنز وبتلر وهكسلى وبنيت من آثار كل ذلك ما لا يستقصى ، ومن تلك القصص تستخرج صور لتلك الحركات أوضح مما قد تعرضه التواريخ المنظمة

وطمت هذه النزعة الاجتماعية الاصلاحية وهذه الصبغة العلمية التحليلية ، فى القصة المعاصرة ، فأقطاب القصة والدرامة المعاصرون أمثال شو وهاردى وولز وجالزورذى ، كلهم متأثرون بالكشوف العلمية الحديثة والنظريات الاقتصادية الجديدة ، والأحوال الاجتماعية الراهنة ، ولكل منهم مبادئه ودعواته حتى أصبح الأدباء يختلفون ويعتركون ، لا على المذاهب الأدبية والآراء النقدية الفنية كما كان الشأن فيما مضى ، بل على المذاهب الفكرية والآراء السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وعلى هذه المبادىء لا على مبادىء الفن والأدب ينقسمون شيعا ومدارس ، ويسرف بعض الكتاب كبرتراندرسل فى التحمس للدعوة الاجتماعية وإطراح الأسلوب الأدبى ، حتى تخرج بعض مؤلفاتهم من عداد كتب الأدب ، ولا تعد إلا فى كتب العلم إن كانت لها قيمة هناك !

كان الشعر العربى فى الجاهلية حقاً ديوان العرب كما دعوه : كانوا يقولونه فى شرح أحوالهم الفردية ، من حب وذكر للديار ومناجاة للمطايا ، وفى شرح أمورهم الاجتماعية ، من التمدح بالقرى والتفاخر بالبلاء فى الحرب والتوعد بالثأر وإباء الضيم ، يرسلون كل ذلك على السجية فيجىء رائعاً بصدقه معجباً برجولته ، ويصوغونه فيما اتفق من لفظ وعر وأسلوب شديد ، فظل شعر ذلك العصر مثلا صادقا له رغم عبث العابثين به ، بل لعله كان أهم مصادر تاريخ ذلك العهد حين دون تاريخه ، فقد ظل المؤرخون يذكرون ما يذكرون من حوادث وحقائق ويتبعونها أبيات الشعر مستشهدين

وظهر أثر عهد الاستقرار والثروة والنجاح فى ظل الأمويين فى غزليات ابن أبى ربيعة وجميل واضرابهما ، ومفاخرات جرير والفرزدق وأشياعهما ، ثم ظهر أثر الافراط فى تلك الثروة والفراغ والاسراف فى اجتناء لذات الحضارة ، فى شعر بشار وأبى نواس وأمثالهما ، ثم كان العهد التالى بدء التدهور والانحطاط المادى والخلقى : فهوت مكانة المرأة إلى حضيض من القهر والازدراء والجهالة ، وفشت الرشوة والمحاباة والمصادرة بين الحكام ، وكثر

الفقر من جراء ذلك وادعاء الفقر والتسول والاحتيال باسم الدين والطب والأدب والعلم، وذاع الفساد وفاحش القول ومبتذل التندر

يبدو أثر كل هذا فى تنديد المعرى بالمرأة وسخر غيره من الشعراء منها ، وتلك الأقاصيص التى افتن الجاحظ والاصفهانى وابن دريد فى جمعها وتأليفها ، عن عبث النساء وغدرهن وخيانة الزوجات ووجوب تشديد الحجاب عليهن ، فكان ابن دريد مثلا يخترع الحكايات يفسر بها الأمثال السائرة فيتخذ ذلك الضرب من حديث النساء مادة لها . وبدا أثر تلك الحال السالف شرحها أيضا فى مقامات بديع الزمان والحريرى ، حيث لا يزال بطل المقامات يتنقل من تسول إلى احتيال إلى خديعة ، ولا يزال الحارث ابن همام يؤكد حرصه فى أسفاره اذا ما هبط بلداً أن يتعرف إلى واليه أوقاضيه أوبعض ذوى الكلمة فيه ، يتقى بمعرفته ظلم الغاشمين والمرتشين من عمال الحكومة ، ويتحاشى غوائل الارهاق والمصادرة والسجن . ويقف كاتبا المقامات المذكورة صفحات طويلة على استعراض ضروب الشتائم والبذاء يتقاذفها أشخاص الأقصوصة . ويقول ابن الرومى واصفاً حال الموظفين والتجار وأضرابهم :

أتراني دون الألى بلغوا الآ مال من شرطة ومن كتاب ؟
أصبحوا ذاهلين عن شجن النا س وإن كان حبلهم ذا اضطراب
وتجار مثل البهائم فازوا بالمنى فى النفوس والأحباب

هذه لمحة خاطفة إلى آثار أحوال المجتمع المتعاقبة فى الأدب العربى ، إذ كان من المحال تقصى تلك الآثار الاجتماعية التى تنعكس فى الأدب ، مادته وأشكاله ومذاهبه وألفاظه ، وما يزال الناظر فى مخلفات الشعراء والكتاب يطلع من آثار مجتمعهم على جديد . وفى نوادر أبى نواس وفكاهات الجاحظ وحكايات الأصبهانى دلائل متفرقة على شتى نواحى الحياة الاجتماعية فى عصورهم . واذا قرأنا فى مقامات البديع مثلا أن أبا الفتح اصطنع فيما اصطنع من حيل لاقتناص الدراهم والدنانير حرفة القرادة ، فرآه عيسى بن هشام مرة وسط جمع من الغوغاء يضحكهم بألاعيب قردة ، علمنا أن تلك الحرفة التى ما تزال مشاهدة فى بعض البلدان حتى عصرنا هذا بعد انتشار حدائق الحيوان ، كانت تمارس منذ تلك العهود . وكذلك نعلم أن أبناء السند وفدوا فيمن وفدوا من أبناء الشعوب إلى مقر الخلافة يبتغون الرزق تارة بالصيرفة إذ يقول الجاحظ إنه لايكاد يوجد ذو تجارة رابحة إلا وصاحب كيسه سندى ؛ وتارة باضحاك العامة — شأن أبى الفتح الاسكندرى — بألاعيب الفيل ، وذلك إذ يقول دعبل :

هذا السنيدى لا فضل ولا حسب يكلم الفيل تصعيداً وتصويباً

كل هده الآثار الاجتماعية ما جل منها وما ضؤل ، واضحة فى الأدب العربى شعره ونثره ؛ بيد أن أغلبها قد جاء فى الأدب عفوا أو عرضا ، ولم يقصد لذاته ولم تنظم القصيدة أو لم يصنف الكتاب عمدا لوصفه وبيانه ، بله نقده وإصلاحه ، فأكثر أدباء العربية بعد الاسلام وبعد استتباب الملك كانوا عن مجتمعهم فى شغل ، قد يرون من أموره ما لا يرضيهم ، وقد تكون لهم آراء فى السياسة ومذاهب فى الدين لا ترضى اصحاب السلطان ، ولكنهم كانوا فى أغلب الأحوال يكتمون مثل تلك الآراء والنظريات ، وكيف يبوحون بنقداتهم وهم بين رجاء لنوال السلطان وإشفاق من غضبه ؟ إن النقد الصريح الحر والنظر الاجتماعى الصادق لا يترعرعان بين ذهب المعز وسيفه ، إنما كان يجهر الأدباء بالنقد والمعارضة فى الجاهلية وصدر من الاسلام ، وهما عهد الحرية واستقلال الفرد ؛ فلما توطدت الملكية المطلقة خفتت أصوات الأدباء وقطعت ألسنهم . وكان شعراء الخوارج الكثيرون الذين أطاح الأمويون رؤوسهم عبرة لسواهم من الشعراء وقد مدح سويف الشاعر بعض العلويين الثائرين فواده المنصور ، وثار المتنبى فى صباه ينبغى إصلاح الأحوال المتفاقمة فزج به فى السجن .

فالملكية المطلقة قد فرضت على الشعب ألا يراجعها فى أمر ، وانقلبت بالأمة العربية بذلك من النقيض إلى النقيض . كان العرب فى جاهليتهم مسرفين فى الاستقلال والفردية ، فصاروا فى ظل الملكية مسرفين فى الخضوع والاستسلام ، وفرضت تلك الملكية على الأدباء أن يعيشوا عالة عليها وعلى المجتمع ، لايشاركون الشعب آماله وأعماله ، ولا يقودون أفكاره وحركاته ، فلم يكن المجال متسعاً أمام الأديب العربى ، كما كان متسعا امام الأديب الانجليزى ، لوصف المجتمع ونقد أحواله والدعوة إلى إصلاحه . فان هو فعل ذلك عرض نفسه للتهلكة ولم يفد المجتمع فتيلا . إنما يؤمل الاديب الانجليزى أن يفيد مجتمعه بآرائه ، لانه يخاطب بآثاره الادبية الرأى العام فى بلاده ؛ الذى هو فوق الحكومة يملى عليها إرادته ؛ أما فى ظل الملكية المطلقة فى الدولة الاسلامية ، فلم يك هناك رأى عام ، وكان رأى الحكومة الاعلى

لذلك عاش أدباء العربية طالبى فضل ، يمدحون الامير ويعيشون من عطاياه ، وهى السبيل التى ألجئ إليها المتنبى بعد محنة سجنه ، وعاش بها حياته على مضض بأكبأ ما هو به محسود ، واستوزروا

للأمراء وكتبوا وعملوا لهم ، وطلبوا بذلك النجاح الشخصى لأنفسهم لا النفع الشامل لمجتمعهم . أما أدباء الانجليزية فقل منهم من عاش فى ركاب الملوك ومن فضلهم على هذا النحو ، وكان أكثرهم إما مثرين غانين عن العمل لكسب القوت متوفرين على فنهم وحده ، واما مساهمين فى الحياة العملية بجانب الحياة الفنية ، فكان منهم من ضربوا بسهم فى السياسة والدين والحرب والكشف الجغرافى وكبار وظائف الدولة ، ومن أولئك فيلب سدنى وبيكون ورالى وملتون وبنيان وأديسون وبيرون ، وكان أكثرهم فى صف الشعب وجانب الحرية

بل كان من أدباء الانجليز من عاف الاجتماع الانسانى قاطبة ، ونقم على أنظمة الملكية والكنيسة ، وكره التقاليد والاعراف السائدة ، وحاول إنشاء مجتمع جديد تسوده البساطة والمساواة ومن هؤلاء شعراء عهد الثورة الفرنسية ، فالكتاب الفرنسيون الذين مهدوا لتلك الثورة أمثال فلتير وروسو اكتفوا بالعمل النظرى وتركوا التنفيذ لغيرهم ؛ أما معاصروهم ومن جاءوا بعدهم من أدباء الانجليز ، فحاول بعضهم تنفيذ مبادئهم بأنفسهم ، ولهذا الغرض انتقل بركلى إلى أمريكا وشلى إلى أرلندة ، يريد كل منهما إنشاء مدينته الفاضلة ، وإن كانا قدمنيا بالفشل لضخامة المشروع . وعاضد وردزورث الثورة الفرنسية بقوة لمناداتها بمبادئها المعروفة حتى نقم على دولته إعلانها الحرب على فرنسا الثائرة ، وكاد ينتظم فى أحد أحزاب الثورة ، ويركب تيارها الخطر ، واستشهد بيرون فى حرب استقلال اليونان .

ولقد أبدى بعض أدباء العربية فى عهد نضج الحضارة والثقافة والأدب شغفاً بتتبع أحوال الناس ومعايشهم وعاداتهم وأخلاقهم وظهر ذلك فى كتب الجاحظ ؛ على أنه كان يروى الأشياء على علاتها ويخلطها بفكاهاته ؛ وفى مقامات البديع ، ولم يكن أيضاً يزيد على التصوير المجرد ، فاذا ما صرح بسخطه على بعض الأحوال والأحكام والأنظمة ، فتصريحاً سريعاً فيه تسليم واقتناع بعدم جدوى محاولة الاصلاح وعدم إمكان أحسن مما كان . وظهر ذلك الميل أيضاً فى شعر ابن الرومى ، الذى صور كثيرا من الشخصيات الفكاهية ، على أنه كان يتناولها من ناحيته الفردية وينحى عادة على أعدائه الشخصيين ؛ وظهر نفس ذلك الميل إلى تتبع أحوال المجتمع فى شعر المعرى خاصة ، وذلك من الأبواب التى تفرد بها أو كاد بين أدباء العربية ، وسبق فى التصريح بها عصره ، وله فى ذلك أبيات رائعة ليست إلا خلاصة موجزة لبعض مذاهب السياسة والاقتصاد فى العصور الحديثة ؛ ومن ذلك اعتباره الحكام خدام الرعية ، ونقمته على عدم تساوى توزيع الثورة ، وذلك قوله من لزومياته :

مل المقام فكم أعاشر أمة ... أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستباحوا حقها ... وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وقوله :

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته ... فقير معرى أو أمير متوج
وقد يرزق المجدود أقوات أمة ... ويحرم قوتا واحد وهو أحوج

على أن الشعر ليس بأصلح المجالات للنقد الاجتماعى والاصلاح الشعبى ، وإنما مجال ذلك النثر الذى هو أكثر شيوعا وأقرب إلى متناول القارئين ، والذى هو أرحب صدراً بالشرح والتفصيل والاسهاب ؛ والمقالة والقصة فرسا رهان هذا المضمار ، ولكن النثر العربى لم ينهض بهذا العبء ، ولم يزد أن خطا الخطوة الأولى فى هذا السبيل فى كتابات الجاحظ ومقامات البديع ؛ وقد جاءت هذه الخطوة متأخرة . ولما جاء الجيل التالى لم تتبعها خطوة أخرى ، بل أعقبها تقهقر إلى الوراء ، فلم تتطور المقامة إلى قصة فنية اجتماعية تدرس المجتمع وتقوده فى سبيل الاصلاح ، بل تحولت فى يد الحريرى وغيره إلى معارض للألفاظ المزركشة والألغاز المعياة والحيل الملفقة ، فقد كانت الأمة فى طريقها إلى الانحلال ، والأذهان فى انحدارها إلى الخمود ، والحكام يزدادون على مرافق الأمة وطأة ، والأدب يتقلص رويداً رويداً ، ويهجر لباب الحياة إلى قشور الألفاظ .

فالادبان العربى والانجليزى قد تأثرا فى مختلف العصور تأثرا كبيرا بأحوال مجتمعيهما ، وهو أمر لم يكن منه بد ، بيد أن الادب الانجليزى كان أكثر بالمجتمع تأثرا وأكثر فيه تأثيرا ، وأشد تشابكا وتفاعلا معه ، لما أحاط به من ظروف مساعدة ، مرجعها سيادة الحكم الديمقراطى وانتشار حرية القول والعمل وقوة الرأى العام ؛ أما الأدب العربى فلبلوغه أوج ازدهاره فى ظل الملكية المطلقة ، قد كاد يقتصر تأثره بالمجتمع وتأثيره فيه على ما جاء عرضا غير مقصود ، وما تم بحكم الظروف وطبائع الأشياء ، وكان تناول أدبائه لشؤون مجتمعهم رفيقا محدودا ، وفيما عدا ذلك كان كل منهم عاكفا على وصف خطراته وأشجانه وصبواته ، مولعا بذم أعدائه ومساجلة صحابته ، إلى غير ذلك من الشؤون الفردية

فخرى أبو السعود

وفاة شاعر تركيا الكبير

عبد الحق حامد بك

١٨٥١ — ١٩٣٧



ولد عبدالحق حامد بك يوم ٥ فبراير سنة ١٨٥١ بجهة بيك من الأستانة . والده خير الله افندى من المؤرخين المعدودين. وجده حكيم باشى مُلاّ عبد الحق

تلقى دروسه الابتدائية فى مدرسة (كوليج روبرت) الأمريكية ، وتلقى دروسه العربية والفارسية على معلمين خصوصيين وهم الأستاذ بهاء الدين، وسليم ثابت، وخوجا احسان. وقد ظهرت عليه مخايل النجابة والذكاء من صغره حينما كان يقرأ فى المدرسة المذكورة فعرف له ذلك معلموه فى المدرسة ومعلموه الخصوصيون

يعرف عبدالحق حامد من اللغات عدا التركية - الانكليزية والفرنسية والعربية والفارسية معرفة تامة ، وله فى ادبيات هذه اللغات تعمق ونظر نافذ شهد له به كل من عرفه من اهل تلك اللغات

ولما كان له من العمر ستة عشر عاماً عين والده سفيراً لطهران فذهب معه ، وهناك توفى والده فعاد إلى الأستانة ولازم قلم الترجمة فى الباب العالى . ثم أخذ ينشر أسفاره وابتدأت شهرته تذيع بين الأدباء فتعرف وهو شاب بسبب شهرته بالأديبين الكبيرين فى ذلك الوقت شناسى ونامق كمال الدين ؛ عرفا للشاعر مزيته وقدرا نبوغه فى ذلك الحين . وكان بالأخص الصديق الحميم لنامق كمال الذى يكبره باثنى عشر عاما عين وهو فى الخامسة والعشرين من عمره كاتبا ثانياً بسفارة تركيا فى باريس ، ثم رقى إلى (باشكاتب) بسفارة تركيا فى لوندرا ، ثم عين شاهبندراً فى بومباى ، ثم عاد إلى (باشكتابة) سفارة باريز مرة ثانية ؛ وآخر وظائفه الحكومية تعيينه سفيراً فى بروكسل ١٩٠٨ . وأخيراً عاد إلى تركيا بعد إعلان الحرب فانتخب عضواً فى مجلس الأعيان وتولى فيه نيابة الرياسة مراراً وإلى حين وفاته شغل دورتين فى انتخاب مجلس الأمة الكبيرة فى عهد الجمهورية ١٩٣١ ، وكان فى المجلس المذكور أكبر الأعضاء سناً .

آثاره الأدبية

ابتدأ أثناء إقامته فى أوروبا (وقد قضى عشرين عاماً فى لندرا) ينشر آثاره البديعة متبعاً طريقة جديدة مما اقتبسه من الآداب الغربية فاستحق بما أبدع من التجديد أن يشغل أعظم محل من الأدبيات التركية . وطار صيته وتسنم ذروة الشهرة بما كتب في رثاء زوجه فاطمة التى توفيت أثناء عودته من الهند ودفنت فى بيروت. فكان لأثره المسمى (مقبر) أثر فى الأدبيات التركية بلغ درجة الاعجاز . ثم انتشرت مؤلفاته الكثيرة التى منها :

مقبر - أولو - ماجراى عشق - أشبر - تهزاد. صبروتبان - طارق بن زياد - نظيفة - فينتين - ديوانه لكلرم - نسترين - صحرا - عبد الله الصغير - تفيله - طيفلر كجيدى - زينب - ساروانبال - فتنت - آلام وطن - دوهترى هندى - طورخان - ايجلى قيز - روحلر - بالادن برسس . ابن موسى - ارخيلر - غرام - يانجى دوستلر - وغير ذلك من آثاره النادرة المثال . وقد منع من النشر أكثرها زمن عبد الحميد بدعوى أنها مسممة لروح الشباب ، مهيجة للأفكار على حكومة الاستبداد .

ولكنه تبوأ بتآليفه هذه أعظم مكان فى نشر الأدبيات الغربية التى بدأ بنشرها قبله شناسى ونامق كمال ، ولكن عبد الحق حامد فاقهما وأربى عليهما بما وفق إليه من الأسلوب العذب والصناعة الأدبية الفائقة ، فنال عنوان إمام المجددين دون رفيقيه اللذين تقدماه . وظل مدة ستين عاماً أستاذاً للأدباء الأتراك فأسدى إلى اللغة التركية والأدب التركى من

التجديد والاختراع ماليس له نظير ولن يكون له نظير فيما بعده .

يقول الأدباء الأتراك : لولا حامد لتأخر انتشار الأدب الغربى فى بلادنا عصراً كاملا ، ولظل مكان حامد فارغاً كما سيظل الآن خالياً ؛ ولكن لله الحمد جاء حامد وأدى مالم يكن غيره ليؤديه للأدب فكان أدبه حياً ملهماً من شعور الأمة ؛ لا بل الأمة هي التى تستلهم من شعوره الحساس وروحه الفياضة ، فهو فى شعور الأمة وحياتها من الخالدين إلى الأبد .

وخلاصة ما يقال فى شعر حامد بك وطريقته الأدبية ، أنه لم يتقيد بالمألوف القديم من شعر الدواوين ، بل ابتدع طريقة عصرية جديدة ، لا يقال إنها اليوم أساس المدرسة الأدبية التركية ، بل ستكون فى المستقبل أيضاً منبع الإلهام الفياض لآداب الأجيال المقبلة .

كان يرجح الأدب الروائى فى مؤلفاته وينتخب موضوعات تاريخية يبرزها فى صور شائقة ممتعة (لتقرأ أكثر منها لتمثل) بلغة سهلة ممتعة تدل على براعته واقتداره فى صنعته التى جعلته نسيج وحده .

توفى مساء الاثنين ١٢ ابريل الجارى عن ٨٦ عاماً قضاها فى خدمة وطنه وخدمة الادب حتى أنه قبل وفاته بيوم واحد استجمع قواه وقام إلى مطالعة كتبه والبحث فى تأليفه الاخير الذى يقال إنه سيكون اعظم أثر أدبي عصرى ، وتذاكر مع الاديب الكبير أحمد فاضل وأنشده بيته الاخير وهو قوله :

ذوق يوق كيجه سنده كوندزنده

بن نه ايله يم بو ير يوزنده

ومعناه تقريباً —

مالى ودنيا كثرت أكدارها   لا ليلها يصفو ولا نهارها

وكانت وفاته تشابه وفاة شاعرنا الزهاوى من بعض الوجوه . فبينما كان جالساً فى نادى الشرق أحس بألم شديد اضطره إلى الذهاب إلى بيته واستدعى إليه الطبيب ؛ وبعد فحصه أوصى بألا يخرج من البيت ويلزم الراحة التامة . وبعد ذهاب الطبيب اشتد عليه المرض ، وتحسنت صحته فى الغد فأحضر له طعام فلم يقبله ، وطلب فاكهة أكلها (كما أكل الزهاوى كماة) ثم قام كما قدمنا إلى كتبه وتأليفه ومذاكرة الأديب أحمد فاضل وأنشده بيته الأخير الذى ترجمناه . وفى اليوم التالى اشتد به المرض إلى الظهر ، ثم نام نوماً هادئاً الى الليل ، وانتبه مدة ثم نام النومة الأبدية رحمه الله . وخلف عدا بناته من زوجه فاطمة ابنة عبد الحق ، حسين وحميد . وقد تزوج بعد فاطمة بالسيدة الانجليزية نيللى التى عاشرته عشرين عاماً ، ثم تزوج بعدها بالسيدة لوسيان البلجيكية التى مات عنها . ولم يولد له من الأخيرتين أحد

وقد شيعت جنازته باحتفال فخم لم يسبق لأديب أن شيع بمثله ؛ اشتركت فيه الأمة التركية بدافع المحبة والتقدير لشاعرها الكبير . وأرسل رئيس الجمهورية أحد ياوريه نائباً عنه من أنقرة . ووضعت جنازته على عربة مدفع ملفوفة بالعلم التركى . ودفن فى المقبرة العصرية فى زنجيرلى قويو ؛ وهذه المقبرة أنشأتها البلدية حديثاً ، وسيكون الشاعر العظيم أول دفين فيها . وسيقام له تمثال فى مكان لائق . رحمه الله رحمة واسعة

رفيق آطالاى

على هامش كتاب

نظام الطلاق فى الاسلام[1]

للأستاذ محمود حمدان

كنت منذ زمن أرى أن ما تعارف الناس من أمر إيقاع الطلاق جملة، وفى أى مناسبة، ويميناً، وتعليقاً – عبث لا يتفق مع الحكمة، ويجعل أقوى العقود رباطاً، وأقدسها حرمة، وأهمها فى الحياة قدراً، أوهن من بيت العنكبوت. فما كان الله ليجعل المرأة الضعيفة تتقاذفها الأهواء كالريشة فى مهب الهواء

وكنت قد طلبت الفقه على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه فما وجدت فى الكتب التى بين يدى. ولا عند الأشياخ الذين تلقيت عنهم جواباً عما يخالجنى. فكنت أسكت وفى النفس شىء لا أستطيع أن أبوح به. وكنت كلما وقع بيدى مقال لبعض المصريين حول موضوع الطلاق أقرأه بشغف لعلى أجد فيه ضالتى، فلا أجد إلا ثرثرة متحذلق فأطرحه كاسف البال

وبعد أن تركت الأزهر الشريف كان يتاح لى فى بعض الأحيان أن أقرأ للمرحوم الأستاذ رشيد رضا مواضيع مختلفة، فصرت ألمس روحاً غير الذى كنت ألمسها فى الأزهر: صرت ألمس روح الحرية فى الفهم وتحكيم العقل والرجوع إلى القرآن الكريم، فاطمأن قلبى وشعرت بنور الاسلام يغمرنى ويكوننى خلقاً آخر

قلت إذن لتحل مشاكلنا على ضوء العقل الذى وهبنا الله، ونور القرآن الكريم الذى حفظه الله كما أنزل ليكون حجة على الخلق إلى يوم الدين، لا على رأى غيرنا، ولا بمقتضى كتب لم يكتب الله لها العصمة

ورجعت إلى مشكلة الطلاق فاقتنعت بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع إلا واحدة ولا يقع ثلاثاً لمخالفة ذلك لمقتضى اللغة ولصريح القرآن وللعقل أيضاً، لأنه حصل فسخ عقد النكاح بقول المطلق: أنت طالق. فلم يبق محل لإيقاع الفسوخ الأخرى بالوصف العددى، وأفتيت بهذا مراراً. وأثناء اشتغالى بالمحاماة الشرعية أفتيت فى حادثة من هذا القبيل لو وصلت إلى المحكمة لقضى بالتفريق بين الزوجين ببينونة كبرى كما يقولون

بيد أنه لم يتح لى دراسة هذا الموضوع دراسة وافية من جميع نواحيه حتى علمت من قراءتى للرسالة الغراء – نفع الله بها وحفظ صاحبها – بصدور كتاب (نظام الطلاق فى الاسلام) للعلامة المجتهد الشيخ احمد محمد شاكر القاضى الشرعى. فقلت: ابن بجدتها، علم غزير، وذكاء وفير، والمهنة مستوجبة للدرس، والظروف مؤاتية.

قرأت الكتاب بشغف قوى وبما يستحق من عناية وإنعام نظر، فرأيته – ولا أريد أن أمدح – نعم الكتاب هو، وافياً بالغرض، قائماً على الحجة القوية من كتاب الله وسنة رسوله مسترشداً بالعقل وقوانين اللغة، بعيداً عن اللغو ومواطن الزلل، ورأيت الاخلاص للحق ماثلا فيه بدليل توفقه – بأسلوب سهل – للاحاطة باطراف الموضوع فى موجز كهذا (وهو بالنسبة لخطورة الموضوع وجيز) وبدليل بعده عن الخوض فى (سب سادات مضوا) شأن كثير ممن يتعرضون للكتابة فى مواضيع اختلفت فيها الآراء وتشعبت الأقوال.

ومسألة الكتاب: إخراج الطلاق من حيز العبث الذى أدخله فيه الناس إلى حيز الحكمة التى ابتغاها الشارع الحكيم من مشروعيته، واعتباره علاجا لاصلاح ما قد يطرأ على الرابطة الزوجية من أمراض تنغص العيش، وتذهب بالسكينة المنشودة من الزواج (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها) والذى يجعل لاصلاح العلاقة الزوجية لا يستعمل لقطعها إلا إذا تعذر الاصلاح وكان العلاج هو القطع. ومن هنا أذن الله للرجل فى الطلاق وجعل له فيه أداة ومهلة يتروى فيها ويراجع نفسه (لعل الله يحدث بعد

---

(١) كتبت على أثر المكاتبة فى هذا الموضوع بين سماحة المجتهد الكبير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء وبين فضيلة مؤلف الكتاب، وحالت موانع دون اعادة النظر فيها وإرسالها.

ذلك أمراً) وبهذا تتجلى حكمة الطلاق ويبدو أنه تشريع منظم غاية التنظيم .

وقد حرص المؤلف على تقرير هذا المعنى فى المواضع المناسبة ؛ غير أن ما اشترط لصحة وقوع الطلاق غير كاف للحيطة من العبث به وتعجيل الفراق ، فقد اشترط فى طلاق المدخول بها أن يكون الطلاق فى طهر لم يمس فيه وقال : (فاذا رد الرجل مطلقته فى عدتها إلى عصمته بالرجعة تجدد العقد بينهما ، فكأنه وصله بعد إذ قطعه ، فيمكن قطعه وفسخه مرة أخرى ، وكذلك الثالثة . ص ٧٢) وهذا كله يتصور فى طهر واحد ، كان يطلق فى طهر لم يمس فيه ثم يراجع نفسه فيرجعها بشروط الرجعة - ثم يرى طلاقها فيطلقها فى نفس الطهر قبل أن يمس ثم يعود اليه صوابه فيرجعها ، ثم يرى طلاقها فى نفس الطهر أيضاً قبل أن يمس فيطلق . وحينئذ يقع الفراق الذى لا رجعة بعده فى طهر واحد ، ويكون قد تعجل الطلاق وخالف الحكمة فى تفريقه . وليس فيما حقق الاستاذ ما يمنع المطلق من إيقاع الطلاق على الصورة الذى ذكرنا أو ما يبطل طلاقه لو فعل .

والذى أراه يتمشى مع الحكمة هو التمشى مع نصوص القرآن الكريم ، وذلك بعدم إجازة الرجعة التى تترتب عليها صحة الطلاق الثانى الا عند نهاية العدة لقوله تعالى : (فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) وقوله تعالى : (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف) فانه رتب الامساك (وهو الرجعة) على بلوغ الأجل . وبلوغ الأجل فى حق الرجعة يراد منه قرب بلوغ الأجل لأن الرجعة لا تصح بعد بلوغه

وحرمان الزوجين من بعضهما مدة العدة أدعى للوفاق بينهما فيما بعد ؛ لأن الزوجة بسبب هذا الحرمان تصلح من شأنها ، والزوج بسببه لا يقدم على طلاق آخر إلا أن كانت الضرورة ماسة جدا خلاف ما لو راجع حالا فانه لا يشعر بشىء يزجره ويذيقه بالفعل خطورة ما أقدم عليه

وقرب بلوغ الأجل ، أى نهاية العدة ، يكون فى الحيض الأخير أو الطهر الذى قبله ، فان حصلت المراجعة فى الطهر الذى قبل الحيض الأخير ومست الحاجة للطلاق الثانى طلق إن شاء قبل أن يمس كما فى الحديث . وإن حصلت الرجعة فى الحيض الأخير صحت الرجعة ويطلق فى الطهر الذى بعدها إن شاء قبل أن يمس . وهكذا فى الطلقة الثالثة

وبهذا النظام لا تقع الفرقة النهائية إلا فى ظرف واسع كاف للتروى والتفكير ومراجعة الرأى . وهو وقت يقرب من ثلاث عدد . ومن لم يحسن العشرة فيه كان مستحقا لعقاب الحرمان الأدنى من رفيقه ، أو ألا يرجع إليه إلا بعد زوج آخر ، وهو ما لا ترضاه النفوس غالبا

***

بقى : هل يبطل الطلاق فى الحيض أو يقع ويحرم ؟

رجح المؤلف بطلانه ، وهو رأى بعض الأئمة ؛ ورجح غيره حرمته فقط ، وسمى بالطلاق البدعى . استدل المؤلف بحديث ابن عمر من روايات متعددة ذكرها فيما بين الصفحة ٢٣ والصفحة ٢٨ ، واحتج القائلون بالوقوع بحديث ابن عمر نفسه من روايات أخرى قال المؤلف عنها : (ليس فيها شىء صريح وألفاظها مضطربة وهى تخالف ما ثبت صريحاً بالروايات الصحيحة ، وتخالف أيضا ما يفهم من ظاهر القرآن)

وأنا أصدق المؤلف فيما قال فى الروايات التى تمسك بها خصوم رأيه ، ولم أطالعها ، ولكننى أقطع النظر عنها وأقول : إن الروايات التى تمسك بها هو لا تساعده على رأيه لأن قوامها :

١ - ماروى مالك فى الموطأ عن نافع (أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهى حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مره فليراجعها ، فليمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسكها بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس . فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء)

٢ - وما روى ابن وهب فى كتابه الجامع : (قال ابن أبى ذئب إن نافعا أخبرهم عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهى

حائض ، فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد ذلك وإن شاء طلق قبل أن يمس . فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء . وهى واحدة)

وهذان الحديثان هما من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم وقد صرح فيهما بقوله فليمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، ثم تطهر ثم إن شاء أمسكها بعد وإن شاء طلق . فلو كان الطلاق الاول الذى طلقه ابن عمر غير واقع لم يكن فائدة لقوله فليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، بل كان ينبغى أن يقول فليمسكها حتى تطهر ثم إن شاء طلقها قبل أن يمس ، ولا داعى لتعدد الحيض والاطهار

وأعجب للمؤلف كيف يقول : (فلو كانت الروايات التى يحتج بها القائلون لوقوع طلقة ابن عمر فى الحيض صحيحة لكان الأمر بمراجعتها ثم التربص بها إلى أن تطهر ثم يطلقها إن شاء فى الظهر الثانى قبل أن يمس - أمراً باطالة عدتها زمناً أكثر مما أريد من الرفق بها) أعجب له لأن التربص بها إلى أن تطهر الاطهار المعدودة فى الحديث ثم يطلقها إن شاء هو مناط الحكمة فى تفريق الطلاق (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) وليس لإطالة عدتها بل لاحتمال رجوعه عن إرادة الطلاق فيما بعد . أما الطلاق الأول فقد وقع والتربص عدة حيض واطهار كما فى الحديث دليل على وقوعه ، وإلا فهو حر فى طلاقها حين تطهر الطهر الاول . وقوله فى الحديث وإن شاء طلق قبل أن يمس فيظهر أنه إن شاء طلاقاً ثانياً ، ولا ينافيه قوله بعد ذلك (وهى واحدة) لأن الضمير فيها للطلقة الاولى المفهومة من سياق الكلام والتى هى محط السؤال ، فلا جرم يكون الجواب عنها بالاضمار ولا يمتنع ذلك ، وهو أسلوب عربى صحيح ، ولا نسلم للمؤلف (أنه لا يمكن أن يعود الضمير اليها) .

وأما الروايات الأخرى التى استند إليها المؤلف فاثنتان وهما :

١ — رواية ابن جريج عن ابن الزبير (وقال عبد الله فردها على ولم يرها شيئاً)

٢ — ورواية مسلم والنسائى بحذف كلمة ولم يرها شيئا

فهاتان الروايتان ليستا من لفظ النبى عليه السلام ، بل هما من فهم عبد الله بن عمر بحسب سماع ابن الزبير وفهمه ، والأخذ بلفظ النبى عليه السلام أولى من الأخذ بفهم غيره

والرواية الثالثة وهى رواية الامام أحمد . . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليراجعها فانها امرأته ، تحتمل على الأقل الوقوع والامر بالمراجعة . وعدم استعمال لفظ المراجعة فى القرآن بهذا المعنى لا ينفى استعماله فى الحديث

وبعد فهل الروايات التى تمسك بها القائلون بوقوع الطلاق فى الحيض ، أو بالتالى هل وقوع الطلاق فى الحيض يخالف ما يفهم من ظاهر القرآن كما قال المؤلف ؟

الجواب عندى أن حديثى مالك وابن وهب اللذين تمسك بهما المؤلف يفهم منهما مايساعد على تأويل القرآن الكريم بما لا يخالف وقوع الطلاق فى الحيض

فالذى يفهم من الحديثين أنه أوقع الطلقة الاولى وكانت فى الحيض ، وأمر بالتريث حيضا وإطهارا بين هذه الطلقة وبين إيقاع الطلقة الثانية إن شاء المطلق ذلك وقال (فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء)

فالطلاق للعدة المأمور به فى القرآن معناه أن تطلق المرأة الطلقة الثانية بنهاية العدة من الطلقة الاولى ، ويكون تفسير آية الطلاق هكذا :

(يا أيها النبى إذا طلقتم النساء) أى الطلاق المعهود فى قوله (الطلاق مرتان) من سورة البقرة وهى أول سورة نزلت بالمدينة ، (فطلقوهن لعدتهن) أى أوقعوا الطلقة الثانية لعدة الاولى أى بنهاية عدتها كما فسر ذلك الحديث حيث أوقع الاولى وأحصى العدة بتعداد الحيض والاطهار وقال بعد ذلك (فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء)

وليس غريبا أن يكون هذا هو التفسير فالقرآن يفسر بعضه بعضا والحديث مبين للقرآن (لتبين للناس مانزل إليهم)

فمن آيات الطلاق مع الحديث يؤخذ أن الطلاق لا يقع الا متفرقا بين كل طلقة وأخرى مقدار عدة ، وأن الرجعة لاتصح الا بنهاية العدة . وحيث كان الطلاق يختل نظامه اذ لم يراع فيه ذلك فقد أكد الله هذا المعنى بتكريره فى آيات الطلاق فقال تعالى فى سورة البقرة (وإذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن

فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف) فرتب الامساك والتسريح على بلوغ الاجل . وذكر مثله فى سورة الطلاق .

والحاصل أنى استنتج من هذا البحث ثلاثة أمور :

الاول : وقوع الطلاق فى الحيض .

الثانى : أن الرجعه لاتصح إلا قرب نهاية العدة .

الثالث : وهو مترتب على الثانى — أن الطلاق الثانى لايقع إلا قرب نهاية العدة من الطلاق الاول ، والطلاق الثالث لا يقع إلا قرب نهاية العدة من الطلاق الثانى

وبذلك يصبح نظام الطلاق فى الاسلام ثابتا لا يتسرب إليه الخلل ولا يمكن العبث به مهما حاول ذلك المحاولون .

فأرجو من فضيلة الاستاذ العلامة الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر مؤلف كتاب (نظام الطلاق فى الإسلام) أن يتفضل بالجواب عما رآه هذا العاجز سواء بالسلب أو بالايجاب مع الادلة الوافية لنستنير برأيه الراجح ، وله منا جزيل الشكر ومن الله عظيم الثواب

داود حمدان

حديث الأزهار

للكاتب الفرنسي الفونس كار

زهرة الأقحوان

نهضت الصبية مع الصباح وسارت نحو البرارى . وكانت العصافير قد فتحت عيونها للنور وبدأت تزقزق وقد أحنت رؤوسها مثقلة بتيجان من لآلىء الأنداء

سرحت الغادة أنظارها على المرج ، فاستوقفتها زهرة الأقحوان ، زهرة النضارة والجمال ، مفتحة عينها الصفراء ، محدقة بالسماء

انحنت على الزهرة وقالت لها : سوف تكشفين لى سر الأسرار يا ابنة الأرض والسماء . سوف تعلن لى وريقاتك مالا يعرفه فى الانسان إلا إله الانسان ، سوف تقولين لى إذا كان يحبنى . . .

وأخذت الفتاة الزهرة بين أناملها وأخذت تنزع وريقاتها

ودفعت الزهرة بالأنين لأول ورقة سقطت من تويجها على الأرض . وقالت : لقد كنت مثلك أيتها الصبية جميلة ومليئة بالحياة ، مثلك كنت سعيدة ، وكما أحببت أنت أحببت أنا ، وما سال النسيم الذى هام بى عن سر غرامى احداً ، بل كان يمر بى كل ساعة ويحمل من عبيرى كلمة الغرام حرفا فحرفا . كان يقتلع هذه الحروف من قلبى كما تقتلعين أنت اليوم وريقاتى من تويجى بلا شفقة ولا رحمة . لقد سرق منى كل عبيرى ، وما عبيرى إلا شعورى يحيط طهارتى بسياجه المنيع

ذهب الشعور كلمة فكلمة ، وبقى قلبى عارياً كما سيبقى تويجي بين أناملك الآن . كنت أتعذب وأتأسف على عواطفى المخلوبة ، على وريقاتى البيضاء . . .

مالى ولك أيتها الصبية ؟ دعينى ، لا تنزعى وريقاتى ، أنا أختك زهرة الأرض يا زهرة العالم ، ارحمى الحياة التى وهبنيها الله ، فأجود عليك بسر عظيم جزاء على إشفاقك

إن المرأة تأخذ الزهرة وتنضو وريقاتها لنستمع الجواب على سؤالها المزدوج : يحبنى ، لا يحبنى . . . .

والرجل يطلب الجواب نفسه من المرأة عندما ينثر وريقاتها البيضاء على الأرض .

أيتها الفتاة ، أبقى جوابك فى قلبك . . . إن الرجل ليطرحك بعيداً عنه إذا ما نزع وريقاتك البيضاء . . . (ف . ف .)

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٢٧ — جنة في نار

دخل بدوى حماما فاستطابه فقال لصاحبه :

ان حمامك هذا غير مذموم الجوار
ما رأينا قبل هذا جنة فى وسط نار

٢٨ — على أنه قيل فى الوقت

فى (أغانى) أبى الفرج :

قال أبو المستهل : دخلت يوما على سلم الخاسر واذا بين يديه قراطيس ، فيها أشعار يرثى ببعضها أم جعفر وببعضها جارية غير مسماة وببعضها أقواماً لم يموتوا . وأم جعفر يومئذ باقية . فقلت له : ويحك ما هذا ؟!

فقال: تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ، ويستعجلوننا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد . فنعد لهم هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديما على أنه قيل فى الوقت .

٢٩ — الإذن الشرعى والقياس اللغوى

فى (طبقات) السبكى .

دخل رجل على الجبائى يوماً فقال : هل يجوز أن يسمى الله (تعالى) عاقلا ؟

فقال الجبائى : لا ، لأن العقل مشتق من العقال وهو المانع ، والمنع فى حق الله محال فامتنع الإطلاق . قال الشيخ أبو الحسن فقلت له : فعلى قياسك لا يسمى الله (سبحانه) حكيما لأن هذا الاسم مشتق من حكمة اللجام وهى الحديدة المانعة للدابة عن الخروج ، ويشهد لذلك قول حسان بن ثابت

فنحكم بالقوافى من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

وقول الآخر (جرير) :

أبنى حنيفة . أحكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن اغضبا

أى نمنع بالقوافى من هجانا ، وامنعوا سفهاءكم . فاذا كان اللفظ مشتقاً من المنع ، والمنع على الله محال ، لزمك أن تمنع إطلاق حكيم عليه (سبحانه وتعالى) . فلم يحر جواباً إلا أنه قال لى : فلم منعت أنت أن يسمى الله (سبحانه) عاقلا ، وأجزت أن يسمى حكيما ؟ فقلت له : لأن طريقى فى مأخذ أسماء الله الإذن الشرعى دون القياس اللغوى ، فأطلقت حكيما لأن الشرع أطلقه ، ومنعت عاقلا لأن الشرع منعه ، ولو أطلقه الشرع لأطلقته

٣٠ — ما قتل المحب حرام

قال القاضى المقرى : سألنى ابن حكم عن نسب المجيب فى هذا البيت :

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب فاجاب : ما قتل المحب حرام

ففكرت ثم قلت : أراه تميمياً لالغائه (ما) النافية فاستحسنه منى لصغر سنى يومئذ

٣١ — أجد بيانها فى قلبى

فى (وساطة) الجرجانى :

قال يونس ابن عبد الأعلى : سألت الشافعى عن مسئلة . فقال : إنى لأجد بيانها فى قلبى ، وليس ينطلق لسانى

٣٢ — بارت قريتك

فى (مفيد النعم) للسبكى :

ذكر الزبير ابن عمار أن بعض المتقعرين كتب إلى وكيل له بناحية البصرة : احمل إلينا من الخوزج والكنعد [1] المقورين [2] ، والأوز الممهوج [3] ، ولحم مهاالبيد ، ما يصلح للتشرير [4] والقديد

فكتب إليه وكيله : إن لم تكف عن هذا الكلام بارت قريتك ، فان الفلاحين ينسبون من ينطق بهذه الألفاظ إلى الجنون

---

(١) نوع من السمك البحرى

(٢) مقر السمكة المالحة تقعها فى الخل

(٣) ممهوج البطن مسترخيه

(٤) التشرير : التجفيف

٣٣ — عبودية الطاعة وأخوة العبد

كتب أبو حيان التوحيدى إلى صاحب له : كنت أعلمتنى أنك استحسنت منى هذين البيتين وهما :

ان كنت تطلب فضلا اذا ذكرت ومجداً
فكن لعبدك خلا وكن لخلك عبدا

وكان سببهما أن صديقاً لى ضرب عبداً له ، فحضره صديق له ، فمنعه الصديق فلم يمتنع ، فكتبت إليه بهذين البيتين أذكره بحق الصديق فى عبودية الطاعة ، وأخوة العبد فى حق الايمان قال (تعالى) : « إنما المؤمنون إخوة » هذا مع ما فى التسلط على المماليك من الدناءة

٣٤ — يخاف أن أعلم عليه

فى (زهر الآداب) للقيروانى :

قال الفتح بن خاقان : مارأيت أظرف من ابن أبى دؤاد ، كنت يوماً ألاعب المتوكل بالنرد . فاستؤذن له عليه ، فلما قرب منا هممت برفعها ، فمنعنى المتوكل وقال : أجاهر الله بشىء وأستره عن عباده ؟ فقال المتوكل لما دخل : أراد الفتح أن يرفع النرد . قال : يخاف (ياأمير المؤمنين) أن أعلم عليه . فاستحليناه وقد كنا نجهمناه

٣٥ — الوجه الحسن والشعر المطبوع

قال أبو عمر بن سالم المالقى : كنت جالساً بمنزلى بمالقة فهاجت نفسى أن أخرج إلى الجبانة ، وكان يوماً شديد الحر فراودتها على القعود ، فلم تمكنى من القعود ، فمشيت حتى انتهيت الى مسجد يعرف برابطة الغبار ، وعنده الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن على المالقى ، فقال لى : إنى كنت أدعو الله أن يأتينى بك وقد فعل فالحمد لله ، فاخبرته بما كان منى ثم جلست عنده فقال : أنشدنى ، فأنشدته :

غصبوا الصباح فقسموه خدوداً
واستوعبوا قضب الأراك قدوداً
ورأوا حصا الياقوت دون نحورهم
فتقلدوا شهب النجوم عقودا
وتضافروا بضفائر أبدوا لنا
ضوء النهار بليلها معقوداً
صاغوا الثغور من الأقاحى ، بينها (١)
ماء الحياة ، لو اغتدى مورودا
لم يكفهم حد الأسنة والظبا
حتى استعاروا أعينا وخدودا (٢)

فصاح الشيخ وأغمى عليه ، وتصبب عرقاً ، ثم أفاق بعد ساعة وقال : يا بنى ، اعذرنى فشيئان يقهراننى ولا أملك نفسى عندهما : النظر إلى الوجه الحسن ، وسماع الشعر المطبوع

٣٦ — أنا لا أسمع لوما فى حبيب

فى خزانة ابن حجة :

كان صلاح الدين الصفدى ، مذهبه تقديم أبى الطيب المتنبى على أبى تمام حبيب الطائى . فاتفق أن صلاح الدين اجتمع بابن نباتة بالديار المصرية ، وذاكره فى أبى الطيب وأبى تمام ، فوجده على مذهبه . واجتمعا بعد ذلك بالشيخ أثير الدين بن حيان وذاكراه فى ذلك ، فقدم أبا تمام ، فلاماه على ذلك فقال :

أنا لا أسمع لوماً فى حبيب

٣٧ — كالحسن شيب لمغرم بدلال

فى (المثل السائر) لابن الأثير :

قال أبو تمام :

خلط الشجاعة بالحياء فأصبحا كالحسن شيب لمغرم بدلال

وهذا من غريب ما يأتى فى هذا الباب . وقد تغالت شيعة أبى تمام فى وصف هذا البيت ، وهو لعمرى كذلك

---

(١) الاقحوان : من نبات الربيع له نوار أبيض كأنه ثغر جارية حديثة السن ، وهو البابونج يجمع على اقاح واقاحى بتشديد الياء وقد خففت فى البيت .

(٢) أبو عبد الله بن اليمن البطليوسى

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ٢ —

الديانة المصرية

يجمع الباحثون على أن الديانة المصرية هي أولى الديانات البشرية التي ظهرت على وجه الأرض من غير استثناء . ويؤكد بعضهم تأكيداً قاطعاً بأنه لم تظهر ديانة في الدنيا إلا ولها في عقائد وادي النيل عنصر ، وأن كل الديانات الانسانية ليست إلافتاتا متساقطا حول مائدة بلاد الفراعنة الذين سبقوا جميع سكان الكرة الأرضية إلى حمل لواء المعرفة وفتح كثير من مغلقات العلم وحل ألغاز الكون . ومن أشهر العلماء الذين يعتنقون هذه الفكرة العالمان الانجليزيان : « پري » و « اليوث سميث » . أما الأستاذ « دينيس سورا » فيؤمن بالفكرة الأولى وهي سابقية الديانة المصرية على جميع الديانات الانسانية ، ولا يستبعد أن تكون جميع التطورات الدينية قد وجدت في مصر من الوثنية المحضة إلى الروحية المغالية في التجردية ، بل إلى « اللاأدرية » المطلقة ، ولكن الذي يعارض فيه هو أن بقية الشعوب القديمة قد تغذت من تساقط فتات المائدة المصرية ، كما يقول بعض العلماء ؛ وبراهينه في هذه المعارضة هي :

أولا : أنه لم يثبت عن المصريين أنهم بعثوا بعثات إلى البلاد الأجنبية للتبشير بديانتهم حتى انتشرت بين ربوع تلك الأمم .

ثانيا : أن الآثار المصرية التي يعتمد عليها العلماء في حكمهم هذا لا تؤيدهم في دعواهم إذا تأملوا في الأمر تأملا دقيقا ، لأنها ليست إلا رموزا وطلاسم قصد بها كاتبوها غايات دينية محضة لا تسجيل حقائق علمية ولا إذاعة أسرار الدين وإبانة تطوراته المختلفة . وإذاً ، فلا يمكننا أن نعتمد على تلك الآثار في حكمنا ، وفوق ذلك فإن أسرار العقيدة المصرية الأصلية لم تذع بين أفراد الشعب إلا في عصور التدهور أي حوالى القرن السادس قبل المسيح . وبناء على هذا يكون العامة - وهم الذين يحتكون بالأجانب في المعاملات - قد ظلوا جاهلين بحقيقة هذه الديانة حتى القرن السادس أي بعد ظهور كثير من الديانات الشرقية . وبهذا ينتفي تأثير الديانة المصرية على تلك الديانات .

ولا ريب أن البرهان الأول في رأينا برهان ضعيف ، لأن الديانة كما تنتشر بوساطة المبعوثين المختصين ، تنتشر كذلك عن طريق الاحتكاكات التجارية والسياسية والاجتماعية . ولا جرم أن هذا كان موجوداً وثابتاً الثبات كله . أما ادعاء أصحاب هذا الرأي جهل الشعب بالعقائد المصرية حتى القرن السادس فهو غير صحيح ، لأن الأدب المصري - وهو مرآة الحياة الاجتماعية بما تحتويه من دين وأخلاق وغيرهما - قد أنبأنا في مواضع تجل عن الحصر بكثير من أسرار العقيدة ، أضف إلى هذا أن الرسوم والنقوش التي تكتظ بها المعابد تذيع أكثر هذه الأسرار الدينية ، وليس سرا ما يعلمه الكهنة والأمراء ، ورجال البلاط ، وكبار الموظفين ، والرسامون والعمال . على أنه إذا جازت سرية ما لدى هؤلاء جميعا - وهي بعيدة - فلا تجوز سرية ما لدى الأدباء والكتاب الذين أفعموا أسفارهم بوصف هذه المعلومات بأسلوب ضاف مسهب . وإذا فالأرجح - إن لم يكن مؤكدا - أن جميع الأمم القديمة من غير استثناء هي تلميذات مصر في الدين كما هي تلميذاتها في العلم والأدب والفن .

غير أنه بالرغم من صحة هذه النظريات القائلة بأخذ الأمم الشرقية دياناتها عن مصر في نظرنا يجب علينا أن نخطو إلى إثباتها خطوات حذرة متبصرة تأتلف مع تلك المعلومات البسيطة التي اكتشفها المستمصرون ، منتظرين ما تأتي به المكتشفات المقبلة عن هذه الأمة العريقة التي سمى العلماء بلادها بحق : « أرض الأسرار والعجائب » .

قداسة الحيوان وأسبابها عند المصريين

رأى علماء أوروبا في العصور الحديثة ، الآثار المصرية مكتظة بالحيوانات المقدسة ، ورأوا كذلك بعض الشعوب

البربرية المتوحشة فى جنوب إفريقيا وفى أطراف آسيا وأمريكا تقدس الحيوانات فى هذا العصر الذى نعيش فيه تقديسا لا يقل عن تقديس المصريين إياها فى العصور الغابرة ، فانخدعوا بهذه المشابهة السطحية وتوهموا أن تقديس المصريين القدماء للحيوانات هو من نوع تقديس المعاصرين المتوحشين لها ، وحسبوا أن التقديس المصرى هو : « Totemisme » توتيميسم ، وهى كلمة تدل على قداسة الحيوان الناشئة عن اعتقاد القبيلة فى قرابتها أو صلتها الوثيقة بهذا الحيوان ، وهذا « التوتيميسم » موجود حقا عند المتوحشين العصريين ولا سيما فى أطراف أمريكا . وقد عنى العلماء باستبطان دواخل هؤلاء المتوحشين ، فسألوهم عن هذه الحيوانات المقدسة فأجاب البعض بأنها أجدادهم الاولون ، وأنهم حين يقدسون هذه الحيوانات لا يزيدون على أنهم يجلون عنصرهم الأول ويحترمون دماء أسلافهم التى تجرى فى عروق هذه الحيوانات . ورد البعض الآخر بأنها أقارب أجدادهم ، وأكد البعض الثالث أنها من خلفاء أولئك الأجواد ، وأعلن الرابع أن الحيوان المقدس عنده إنما هو إله قبيلة .

وقد شاهد العلماء أيضا فى بعض الجهات المتوحشة القبيلة تنقسم إلى أربعة بطون : البطن الأول يقدس الكلب ، وهو جده الأعلى ، والثانى يقدس الخنزير ، وهو عنصره الأول ، والثالث يقدس الوزغ ، وهو مبدؤه الأساسى . والرابع يقدس التمساح ، وهو رأس الأسرة الأولى من هذا البطن .

فلما رأى العلماء هذا التقديس للحيوان عند الشعوب المتوحشة ورأوه عند المصريين الغابرين ، جزموا بأن أولئك وهؤلاء متشابهون فى عقيدتهم وتقديسهم لا يفرق بينهم إلا هذه العصور المترامية الأطراف

وقد أفاض بعض هؤلاء العلماء فى هذه الموازنة إفاضة أنزلت آراءهم منزلة خيال الشعراء وأحلام النائمين . وأبرز هؤلاء العلماء الحالمين هو الأستاذ « فرازير »(١) الانجليزى مؤلف كتاب « الغصن الذهبى »

وقد عارض كثير من العلماء الأدقاء فى هذه المشابهة معارضة شديدة وصرحوا بأنها تنقصها الأسانيد العلمية التى يعتمد عليها من ناحية ، وبأنها غير متناسقة الجزئيات من ناحية أخرى ، واستدلوا بأدلة على أن منشأ تقديس الحيوانات عند المصريين ليس هو « التوتيميسم » ، وإنما هو سبب آخر سنذكره هنا . وإليك شيئا من هذه الأدلة :

(١) إن المصريين القدماء كانوا يبيحون زواج الاخ من أخته مع أن جميع قبائل التوتيميسم تعد هذا العمل أكبر جرائمها التى تستوجب السخط والغضب ، بل إنها مجمعة من غير شذوذ واحد منها على أن زواج الرجل بامرأة من البطن الذى هو منه محرم ، وهذا خلاف واضح يجعل المشابهة بعيدة كل البعد

(٢) إنه قد عثر على كثير من القبائل المتوحشة تجهل « التوتيميسم » جهلا تاما ولا تنظر إلى الحيوان إلا بمثل الاغضاء والاهمال اللذين ينظر بهما إليه أرقى المتمدنين العصريين

(٣) إن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن عنصرهم هو السماء فلا يمكن أن ينتسبوا إلى الانسان العادى فضلا عن الحيوان

(٤) إنهم صرحوا فى عدة مواضع من آثارهم بأسباب تقديسهم لتلك الحيوانات ، ولا يمت أى واحد من هذه الأسباب بصلة إلى تسلسلهم من الحيوان . وإذاً ، فلا يمكن أن نسمى تقديس المصريين للحيوان : « توتيميسم » إلا إذا خرجنا بهذه الكلمة عن معناها الأصلى ، وجعلناها مرادفة للتقديس فحسب بدل مرادفتها للتقديس الناشىء عن البنوة أو القرابة . على أن الذين يوافقون من المستمصرين على تسمية تقديس المصريين للحيوان « توتيميسم » يجمعون على قصر هذه « التوتيميسمية » على عصور ما قبل التاريخ كما يجمعون على وجوب فصل عقائد تلك العصور « التوتيميسمية » عن عقائد العصور التاريخية الراقية .

أما منشأ هذه القداسة فهو يرجع — فى رأى العلماء المحققين — إلى أنه قد حدثت حروب بين القبائل المصرية فى عصور ما قبل التاريخ تجلت عن انتصار بعض هذه القبائل وانهزام البعض الآخر ، فرمز المنتصرون لبلادهم ببعض الحيوانات القوية ولقرى خصومهم المنهزمين ببعض الحيوانات الضعيفة ، فبقيت هذه الرموز دالة على معانيها ردحاً من الزمن

(١) يلاحظ أن أكثرية الآراء الخاطئة التى يذيعها الأستاذ سلامة موسى مستقاة من مؤلفات هذا العالم الخرافى .

ثم تعاقبت الأجيال فنسيت الأسباب الأولى وبقيت أسماء تلك الحيوانات عالقة بهاتيك القرى ورامزة لها فى شكل خفى غامض . ولما كانت النفوس البشرية مجبولة على تقديس ما تجهله فقد قدست مصر تلك الحيوانات دون تفريق بين قويها وضعيفها .

ولما ارتقت مصر نوعاً ، ونظمت بلادها وقسمتها إلى مقاطعات وأنشأ سكان كل مقاطعة على حدة راية خاصة بهم ظل بعض تلك الرموز القديمة باقياً ونقش كل منها على مقاطعته . كما اختفى البعض الآخر الذى لأمر ما لم يصلح للحياة ، ولكن ذلك البعض الذى بقى لم يظل جامدا على راية حاله الأولى ، وانما تطور انسجاما مع المدنية الحديثة مثل البازى الذى كان فى عصور ما قبل التاريخ رمزاً لأحد الانتصارات الغابرة ثم أصبح فى العصور التاريخية رمزاً للاله « هوروس » إله القوة والخير والبركة ، وكالبقرة التى كانت كذلك فى العصور الأولى رمزاً لأحد تلك الانتصارات التى سجلت على القرية المنهزمة ضعفها ، فرمز اليها بحيوان صغير كالتمساح مثلا ثم أصبح رمز البقرة رمزاً للاله « هاتور » .

ومع طول الزمن اندمج بعض المقاطعات فى البعض الآخر وأصبح الكثير منها تحت إمرة إله واحد كما حدث فى الماضى أن أصبح المنهزم تحت إمرة المنتصر ، وهذا هو مأتى تقديس الحيوانات فى مصر القديمة ؟

« يتبع » **محمد غلاب**

سر مجهول

فى تحريم لحم الخنزير

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

فى التشريع الإسلامى أسرار لا يعلمها إلا من طهر الله قلوبهم لحكمته ، وألهمها من العلم مالا يقاس به شىء عندها . وقد كان الناس يظنون أن الحكمة فى تحريم لحم الخنزير تعبدية إلى ان أخذوا فى هذا العصر يتمسون حكم التشريع ، ويعنون بالبحث عن فوائده ومزاياه ؛ فحينما بحثوا فى حكمة تحريم لحم الخنزير ظنوا أنه استثناء من أصل أحل لحمه ، فأخذوا يبحثون فى تحريمه عن حكمة خاصة به . وقد ذكروا من ذلك ان الخنزير يصاب فى كثير من الأحيان بديدان تنتقل منه إلى من يأكل لحمه ، وتتربى فى جسده ، فتكون منها الدودة الوحيدة الخطيرة ؛ وذكروا أيضاً أن فى الخنزير ديدانا أخرى تتربى فى لحمه يقال لها (تريشين) ، ومن عادتها أن تكون محاطة بكيس ينتهى أمره بأن يتحجر فتموت تلك الدودة فيه ، ولكن هذا لا يكون إلا بعد أن تلد ألوفاً لا تحصى من الديدان ، وكل دودة منها ينتهى أمرها إلى مثل ما انتهى اليه أمر الدودة الأولى ؛ فاذا أكل الانسان لحم الخنزير نزلت هذه الأكياس الحجرية الحاوية لهذه الديدان إلى معدته ، وذابت فيها بتأثير العصارة المعدية ، فتخرج منها ديدانها وتتكاثر فى جسمه وتسكن فى لحمه ، وهذا من أقبح الأمراض وأشنعها وناهيك بمرض يكون فيه لحم الانسان كله مساكن لتلك الديدان المؤذية .

وقد يكون هذا من ضمن الأسباب التى حرم الله بها لحم الخنزير ، وإن كان لا يوجد له نظير فيما حرم الله أكله علينا ؛ ولكن يبقى بعد هذا أن يقال : هل حرم الله علينا الخنزير لأنه خنزير ، أو لأنه من جنس السباع التى حرم علينا أكلها لحكمة عظيمة سنبينها ؟ ولقد سألنى بعض المخالفين منذ سنين

٨٠٤٥

عن الحكمة فى تحريم الاسلام لحم الخنزير ، فأجبته بان الله حرمه لأنه سبع من السباع ، ثم ذكرت له الحكمة فى تحريم لحمها . فسكت سكوت المفحم أو المقتنع، ولم يعقب على كلامى بكلمة تبين لى حقيقة أمره ، فاكتفيت منه بذلك وتركته ، وهأنذا أفصل هنا ما أجملته فى جوابى له :

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل ذى ناب من السباع فأكله حرام . فهذا الحديث يدل على تحريم ما له ناب من السباع ، والناب هو السن خلف الرباعية ، كما جاء فى القاموس ، والسبع هو المفترس من الحيوان كما جاء فى القاموس أيضاً ، وجاء فيه أن الافتراس الاصطياد . وجاء فى كتاب النهاية لابن الأثير أن السبع هو ما يفترس الحيوان ويأكله قهرا وقسرا ، كالأسد والذئب والنمر ونحوها . وقال أبو حنيفة : كل ما أكل اللحم فهو سبع ، حتى الفيل والضبع واليربوع عنده من السباع ، وكذلك السنور . وقال الشافعى: السباع المحرمة هى التى تعدو على الناس كالأسد والنمر والذئب ، أما الذى لا يعدو منها على الناس فهو حلال ، كالضبع والثعلب

فاذا أردنا بعد هذا أن نعرف أمر الخنزير فى ذلك وجب أن نرجع إلى ما كتب فى علم الحيوان عنه . وقد جاء فى كتاب حياة الحيوان للدميرى أن الخنزير يشترك بين البهيمية والسبعية ، ففيه من السبع الناب وأكل الجيف ، ومن البهيم الظلف وأكل العشب والعلف . ويقال إنه ليس لشىء من ذوات الأنياب ما للخنزير من القوة فى نابه ، حتى إنه يضرب به صاحب السيف والرمح فيقطع كل ما لاقى من جسده من عظم وعصب

وجاء فى دائرة معارف البستانى أن الخنزير يمتاز بقوة أنيابه المعوجة ، وأن منها نابين فى الفك الأعلى ونابين فى الفك الأسفل يقدر أن يجرح بها جراحاً غائرة ، وهو فى الغالب يضرب بها الأماكن الرخوة عند الهجوم عليه ، كبطن الفرس والإنسان ونحوهما ، وقيل إنه يتغلب أحيانا بأنيابه على الأسد

ثم ذكر أن الخنازير الآبدة أقوى وأضخم من الخنازير المستأنسة ، وأنها أشرس منها طباعا ، وأعظم أنيابا ، وأنها تصاد بالحمل عليها وهى فى كهوفها ، وبنصب الفخاخ لها ونحو ذلك ، وقد تطارد بالكلاب إلى أن تقف مصادمة مطارديها ، ويكون وقوفها عند زجلى الفرس ، وكثيراً ما تتمكن من جرحه فى ساقيه بنابيها المخيفين ، وقد تأتى إلى جنب الفرس وتطعنه بنابيها فى بطنه فتشقه قبل أن يتمكن منها راكبه ، وبعض الخنازير فى أمريكا إذا حمل إنسان أو وحش على القطيع منها يقف على شكل دائرة ، ويدفع بأسنانه الحادة هجمات العدو عليه ، وإن كان النمر الأمريكى المشهور بالقوة ، وكثيرا ما تقتل هذه الخنازير الكلاب التى تستعمل فى صيدها ، وكثيرا ما تقتل صيادها أو تجرحه ، وكثيراً ما تجاهر الناس العداء بشجاعة لامزيد عليها ، فتحمل على الإنسان بدون أن يغيظها ، وإذا رأت كلباً غير متعود صيدها تحيط به حالا وتقتله ، وهى على العموم شديدة البأس ، كثيرة الحمق

وقد ذكر أيضا أن للخنزير ستة أضراس أو سبعة فى كل جانب من جوانبه ، وأن الأمامية منها تشبه أضراس آكلة اللحوم ، أما الخلفية فتشبه أضراس الإنسان ، وهذا يدل على أنه يأكل النبات واللحم

وكذلك ذكر الأستاذ أحمد ندى فى كتابه (الحجج البينات فى علم الحيوانات) أن الخنزير يسكن الغابات ويتغذى فيها بالجذور والثمار ، ولكنه إذا فقد هذا الغذاء يصير آكل لحوم ، فيفترس الحيوانات الحية ، ويأكل من لحومها

وينقسم الخنزير إلى قسمين : خنزير برى وخنزير بحرى . ومن الخنزير البحرى نوع يسمى عند الفرنجة (بيروسا) أو الخنزير الملاسمى ، ويوجد فى جزائر الهند الشرقية ، وهو شرس الطباع كالخنزير البرى ، قادر على السباحة طويلا . وقد ذكر الدميرى فى كتابه (حياة الحيوان) أن الخنزير البحرى هو الدلفين على المشهور ، وقد سئل مالك عنه فقال : أنتم تسمونه خنزيراً ، يعنى أن العرب لاتسميه بذلك ، لأنها لاتعرف فى البحر خنزيرا

(للبحث بقية)

عبد المتعال الصعيدى
المدرس بالقسم العام بمعهد طنطا

بين القاضى منصور الهروى والوزير أبو سهل الزوزنى

للأديب الفارسى عباس اقبال

ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام

مقـــدمة :

لما قامت الدولة العثمانية فاستولت على آسيا الصغرى والعراق العربى والشام وجزيرة العرب ومصر وشمال افريقية تقطعت الأواصر العلمية والأدبية التى جمعت بين العهد العباسى بين المسلمين فى الأقطار كلها من بخارى وسمرقند إلى القيروان ومراكش

اشتدت المنافسة الدينية والسياسية بين الصفويين فى إيران وسلاطين آل عثمان فى البلاد الاسلامية الأخرى وانتهت إلى العداء والحرب ، فأقامت سداً منيعاً بين مسلمى إيران وإخوانهم فى الدين ، فتقطع ما بينهم من روابط. فسلمو الشرق الذين كان اهتمامهم بالفارسية يزيد يوماً بعد يوم بحكم الزمان ، والذين كانوا ينصرفون عن العربية لزوال دولها المستقلة سلكوا طريقاً غير الطريق التى سلكها مسلمو الغرب تحت سيطرة الترك العثمانيين ولواء السلطان حامى مذهب أهل السنة والجماعة .

وكانت عاقبة هذا أن الايرانى حرم الاستفادة من المؤلفات التى كانت تكتب خارج حدود بلاده والكتب القديمة التى كانت مدخرة فى غير وطنه . وكذلك حيل بين رعايا العثمانيين وبين آثار النهضة العلمية والأدبية فى إيران . وزاد تعصب الفريقين هذه الفرقة على مر الزمان . واليوم وقد نهضت أهل مصر والشام لأحياء الآداب والمعارف الاسلامية ، لا نزال نرى العلماء والأدباء على براءتهم من التعصب والحمد لله يهملون كل ما كتب بالفارسية ـ إحدى لغتى التمدن الاسلامى العظيمتين ـ ويصدفون عما كتبه علماء المذهب الشيعى ـ أحد المذهبين العظيمين فى الاسلام . يتبين من مطالعة الكتب والمقالات التى يكتبها فحول الكتاب والمؤرخين فى مصر والشام أنهم متمكنون فى الآداب العربية وتاريخ الاسلام ، بصيرون بكثير من الحقائق الراجعة إلى الفرنج وآدابهم . حتى إذا عرض بحث عن إيران والآداب الفارسية ، أو مذهب الشيعة كبا جوادهم وكثرت زلات أقلامهم . ونرى بعض هؤلاء الكتاب يحاولون الرجوع إلى المراجع الفارسية وهم يجهلون لغتها فيتوسلون إليها بالمراجع الأوربية فيحرفون الأعلام حين ينقلونها من الحروف اللاتينية إلى الهجاء العربى تحريفاً يغير معالم التاريخ والجغرافيا

كتب أحد كتاب مصر (ونمسك عن ذكر اسمه إجلالا لمقامه) ترجمة ناصر الدين شاه والوزير ميرزا تقى خان . وكان أخذه عن كتاب انجليزى فكتب «نصر الدين» و«طاغى خان» ، والذى يعرف العربية يدرك الفرق بين ناصر ونصر وتقى وطاغى . وللتحرز من مثل هذا اللبس عنى العلماء المدققون من قبل بتأليف كتب مثل « المؤتلف والمختلف » و « والمشتبهات » و « المشترك » وغيرها . واجتهدوا فى ضبط الاعلام وتعيين لفظها ورسمها .

وهذا الخلط والمسخ ظاهران فى ترجمة دائرة المعارف الاسلامية التى تنشر فى مصر الآن فهى مليئة بأغلاط من هذا القبيل لا يتيسر تعدادها .

انما يريد الكاتب من هذه المقدمة أن يلفت أدباء العربية ومؤرخيها ومحققيها الذين يجتهدون فى كشف حقائق التمدن الاسلامى على سنن المحققين من الفرنج ، إلى هذه النكتة الدقيقة : وهى أن أمامهم مصدرين عظيمين لتكميل معارفهم فى كل ما يرجع الى التمدن الاسلامى ـ مصدرين لا يغنى بهما كثير من الباحثين على ما ضمنا من حقائق لا يظفر بها الباحث فى الكتب العربية المعروفة . هذان المصدران هما الكتب الفارسية وكتب الشيعة التى ألفت فى إيران بالعربية أو الفارسية

أرى كثيراً من فضلاء الشبان فى مصر والشام يكتبون رسائل أو كتباً عن حكماء الاسلام وعلمائه ومؤرخيه فلا يستطيعون بلوغ الغاية فى التحقيق بما جهلوا الفارسية فحرموا

الاستفادة من الكتب المعروفة فى إيران . كيف يستطيع كاتب أن يحقق تاريخ ابن سينا وفلسفته وهو يغض الطرف عن كتبه الفارسية : « دانشنامة علائى » و « رسالة نبضية » ومعراجنامه ، أو عن أشعاره الفارسية . وكيف يستطيع أن يوفى البحث عن أبى الريحان البيرونى وهو يغفل النسخة الفارسية من كتاب التفهيم فى صناعة التنجيم وما كتبه عنه مؤلفو الفارسية القدماء مثل أبى الفضل البيهقى فى تاريخ آل سبكتكين ، ونظامى العروضى للسمرقندى فى جهار مقاله وفيه حقائق لا تلفى فى كتب أخرى ؟ ومثل هذا يقال عن كثير من العلماء أمثال الامام فخر الدين الرازى ، والعلامة قطب الدين الشيرازى ، والامام عمر الخيامى ، وجار الله الزمخشرى ، ورشيد الدين الوطواط ، ونصير الدين الطوسى .

من ذا الذى يعنى بالتاريخ ومايحتاج إلى كتبه مثل تاريخ قمّ (وقد فقد أصله العربى ، ولم يبق إلا جزء من ترجمته الفارسية) ومحاسن اصفهان لسعد الدين البافروخى ، وكتاب الفهرس للطوسى ، ومعالم العلماء لابن شهراشوب ، والفهرست للقمى ، وكتاب الرجال للكشى ، وكتاب الرجال للنجاشى ، وكتاب الرجال الكبير للاسترابادى ، وروضات الجنات للخونسارى ، وكلها من أمهات كتب الشيعة ؟ أوكيف يغض الطرف عن كتب التاريخ الفارسية مثل جهانكت للجوينى ، وجامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الوزير ، وتجزية الأمصار وتزجية الأعصار أعنى تاريخ الوصاف ، وزبدة التواريخ للحافظ أبرو ، ومطلع السعدين لعبد الرزاق السمرقندى ، وظفرنامه للنظام الشامى ، وشرف الدين على اليزدى ، وحبيب السير ، وروضة الصفا ، ومجمع الأنساب ، وتاريخ كراميره وكلها ثقة فى تاريخ المغول وعصر تيمور ؟

كل متأدب فى العالم العربى سمع اسم أطباق الذهب لشرف الدين عبد المؤمن الأصفهانى ، كتبه على نسق أطواق الذهب لأبى القاسم الزمخشرى ، وربما لا يوجد فى هذه البلاد من يعلم أن شرف الدين المذكور (ويعرف باسم شرف الدين ابن شفروه) واحد من أشهر شعراء الفارسية له ترجمة فى كل كتاب فارسى مترجم للشعراء . وكذلك كتاب الفخرى لصفى الدين محمد بن على بن الطقطقى طبقت شهرته الآفاق ، ولكن قليلا من فضلاء العربية من يعلم أن فى الفارسية نسخة من هذا الكتاب أكثر تفصيلا كتبها هندوشاه النخجوانى سنة ٧٢٤ ، ويؤخذ من هذه النسخة الفارسية أن اسم كتاب الفخرى الحقيق : « منية الفضلاء فى تواريخ الخلفاء والوزراء »

أرجو أن يعذرنى القراء الكرام فى تطويل هذه المقدمة التى يمكن أن يكتب فى موضوعها كتاب والتى يرى القارىء فيها وفيما بعدها أن الفرع قد زاد على الأصل . إن عذرى فى هذه الإطالة رجائى أن يكون فيها بعض الفائدة

* * *

ومن أمثلة ماذكرنا فى المقدمة أعنى الأمثلة التى تبين أن الكتب الفارسية تعين على إيضاح مسائل تاريخية ودقائق فى الأدب العربى أو تتضمن أحياناً فوائد لاتلفى فى الكتب العربية ، قصة القاضى منصور الهروى أحد الشعراء النابهين فى القرن الخامس الهجرى ومن ذوى الصيت الذائع فى البلاد الاسلامية الشرقية فى هذا العصر .

القاضى أبو أحمد منصور بن أبى منصور محمد الأزدى الدولى ، المعروف بالقاضى منصور أو منصور الفقيه (١) ، ولى قضاء هرات فى عهد الملوك الغزنويين ، وكان منصب القضاء وراثة فى أسرته . وكان القاضى مع هذا المقام الجليل ، يمضى أكثر أيامه فى مصاحبة أهل الطرب ومنادمة إخوان اللهو والتمتع بالعيش الرضىّ ، والوجه الجميل ، يرى طبعه الشاعر أن الحياة فى السرور والطرب ، وكأن لسان حاله يتلو شمس الدين محمد حافظ الشيرازى :

« صديقان أريبان ، ومنوان من الخمر المعتقة ، وفراغ ، وكتاب وزاوية فى المرح ، لا أبيع هذا المقام بالدنيا والآخرة وإن يكن الناس قد اتخذونى إماما)

والقاضى منصور من معاصرى أبى منصور الثعالبى مؤلف يتيمة الدهر وتلميذه أبى الحسن الباخرزى مؤلف دمية القصر ، وقد أثبت هذان المؤلفان له ترجمة مختصرة

(١) ينبغى التمييز بين منصور الفقيه هذا أعنى القاضى منصور الدولى الأزدى ومنصور الفقيه المصرى أعنى أبا الحسن منصور بن اسماعيل بن عمر التميمى الضرير ويذكر غالبا فى الكتب القديمة باسم منصور الفقيه ، وكان شاعرا أيضا توفى سنة ٣٠٦ .

ونبذة من شعره فى يتيمة الدهر (٤ — ٢٤٣) وتتمة اليتيمة (٢ : ٤٦ — ٥٣) وفى دمية القصر (فى ذيل شعراء خراسان)

وهذه نبذة مما كتبه الباخرزى :

وكان مغرى بالشراب ، مغرماً بالأطراب ، يمناه متوجة بكأس الرحيق ، ويسراه مقرطة بعروة الإبريق . وخمرياته مما يحكم له فيها بالفضل على الحكمى ، وغزلياته مما يحصل بها مطاوعة الغزال الآبى ،

وكذلك فى معجم الأدباء طرف من أخباره وقطع من أشعاره (٧ — ١٨٩ — ١٩١) ويقول ياقوت إن القاضى منصور كان من مادحى القادر بالله (٣٨١ — ٤٢٢) وأنه توفى سنة ٤٤٠ .

وفى تاريخ آل سبكتكين الذى ألفه بالفارسية أبو الفضل محمد بن الحسين البيهقى (٣٨٥ — ٤٧٠) ، وهو من معاصرى القاضى وأصدقائه ، فصل ممتع فى ترجمته لا يلفى فى مصدر من المصادر المذكورة ، ولا فى غيره من المراجع المشهورة . ونحن نثبته هنا إفادة للقراء وإثباتا لدعوانا فى المقدمة (طبع طهران ص ٥٩٩ - ٦٠١) . يقول أبو الفضل البيهقى :

وكان بهرات رجل يقال له القاضى منصور له قدم فى كل علم وفضل قد سكن الى الشراب واللهو ، وأخذ حظه من الدنيا الغادرة وجعل شعاره : خذ العيش ، ودع الطيش . وكان ريحانة الأكابر لا يأنسون بمجلس لا يضمه . وكان صديقاً لأبى سهل الزوزنى[1] قد أحكمت مودتهما أواصر الأدب . وكانا يتلازمان ويعكفان على المدام . بكر القاضى منصور يوماً الى لهوه وشرابه ، وأرسل اليه أبو سهل أبياتا ، فأجاب بديهة على رويها ؛ وأعاد أبو سهل الكتابة فأجاب أبو منصور ولم يحضر ومضى اليوم .

وهذه هى الأبيات التى كتبها الشيخ أبو سهل الزوزنى :

أيها الصدر الذى دا نت لغرته الرقاب
انتدب ترضى الندامى هم على الدهر كتاب
وأسغ غصة شرب ليس يكفيها الشراب
واحضرن لطفا بناد فيه للشوق التهاب
ودع العذر وزرنا أيها المحض اللباب
بينك المر عذاب وسجاياك عذاب
انما أنت غناء وشراب وشباب
جودك المرجو بحر فضلك الوافى سحاب
انما الدنيا ظلام ومعاليك شهاب

فاجابه القاضى فى الوقت :

أيها الصدر السعيد الماجد القرم اللباب
وجهك الوجه المضىء رأيك الرأى الصواب
عندك الدنيا جميعا واليها لى مآب
ولقد أقعدنى السكر وأعيانى الجواب
فى ذرى من قد حوى من كل شىء يستطاب
ولو اسطعت قسمت الجسم قسمين لطاب
غير أنى عاجز عنه وقلبى ذو التهاب
فبسطت العذر عنى فى أساطير الكتاب

وكتب اليه أيضا أبو سهل :

أيها الصدر تأن ليس لى عنك ذهاب
كل ما عندك فخر كل ما دونك عاب
وجهك البدر ولكن بعد ما انجاب السحاب
قربك المحبوب روض صدك المكروه غاب
عذرك المقبول عندى أبد الدهر يصاب
أنت إن أبت إلينا فكما آب الشباب
أو كما كان على المحل من الغيث الضباب
بل كما ينتاش ميت حين واراه التراب

فكتب منصور بعد ما أدركه السكر :

نام رجلى مذ عبرت القنطره
فاقبلن إن شئت منى المعذره
ان هذا الكأس شىء عجب
كل من أغرق فيه أسكره

(باريس) عباس اقبال

---

(١) الشيخ العميد أبو سهل محمد بن الحسين الزوزني كان من كتاب السلطان شهاب الدولة مسعود بن محمود الغزنوى (٤٢٠ - ٤٣٦) ورئيس ديوان رسائله .

زهرة في مستهل الربيع

للأستاذ محمود الخفيف

قد بعثتُ القديم من أحلامي … إذ تبسّمتِ للربيع الجديد
يا ابنةَ الصبح قد ثكلتُ غرامي … وتأسّيتُ من زمان بعيد
ما لهذا النّدى يزيد أوامي … ويُثير الجوى بقلبي الشهيد!

فيم أحييتِ بابتسامك وجدي … يا عروس الربيع رفقاً بقلبي
كيف أصبو إلى جمالك وحدي … أيُّ حُسن يخالج اليوم لبي؟
يتساوى القتاد والزهر عندي … وتناسيَّ ماضي العيشَ حسبي

يوجعُ النفس أن ترى اليومَ حُسناً
كان بالأمس من بهيجِ رواها
تنظرُ العين لا ترى فيك معنًى … من معاني الجمال إلا شجاها
أغنيات المنى تألفن لحناً … صارَ للنفس من صميم أساها!

صوّرتْ لي كآبة العيش حولي … عند لقياك كلَّ معنى كئيب
ذائب الطل ليسَ عندي بطلٍّ … هو سحُّ الجفون عند النحيب
وكأنّ الزمان مسّكِ مثلي … بالضّنى كفّهُ وبالتعذيب

إنّ هذا النّماء يوحي لنفسي … صوراً هنّ من نسيج الفناء
سوف يُطوى بهاؤه حين يمسي … يومُكِ الضاحكُ المديد الضياء
كلما زاد قلّ رونقُ أمسي … بالموتِ رأيته في النّماء!

هكذا يا ابنة الربيع حياتي … غير أني معذّبٌ بشعوري
حائر النفس بين ماضٍ وآت … غاب في لجّةِ الزمان حبوري

سوف تطوي يد المنية عمري … بعد أن يُطفئ الزمان شبابي
للونى والنحولِ في الدهر سيري
لا ترى العينُ غيرَ لمع السراب
فسواء صبرتُ أم رثّ صبري … وسواء مسرّتي واكتئابي

فيكِ رمز لكل ما هو فانٍ … عابر لن يقيم إلا قليلا
يا عروس الربيع كم من معانٍ … فيكِ زادت غليل قلبي غليلا
يا لقلبي ما طارقات زمانٍ … لم تذرْ لي في الكون معنًى جميلا

أنتِ كالعيش فتنة وغرور … وأمانيُّ كلها للنفاد
أنتِ كالحب نشوة وفتور … ورُؤى تمّحي بلا ميعاد
لمع كلهن مَين وزور … الليالي لهنّ بالمرصاد

خيلت لي عيناي صورة أنس … برهة ثم خيلت لي ثبورا
ورأى القلب فيكِ موحش رَمسِ
يضحك الزهر فوقه منثورا
لسواء زينت ساحة عرس … يا ابنة الصبح أم كسوت القبورا

موتُكِ الباكر المحتم يوحي … لفؤادي الهموم من كل جنس
كم صبي كالزهر غض صبوح … كالرياحين عوده طيب غرس
ناعم كالملاك رقة روح … موته يوجعُ القلوب ويؤسي!

كم فتيّ في ضحوة العمر ولى … مثلما متِّ، نابهٍ عبقريّ
ومحيًا من ضاحك الزهر أحلى … قد محاه الفناء قبل الذويّ!

كنت ألقاك في الربيع فألقى … ألف معنى في سحر ذاك الشباب
يمعن الحس عند مرآك عمقاً … فأرى الروح من وراء حجاب
وكأني والقلب يسجد خفقاً … هيكل ليس ينتمي للتراب!

ينجلي فيكِ والزمان نضير … ومعاني الربيع تملأ نفسي
أمل ضاحك وعيش غرير … وطيوف تثير كامن حسي
كان لي منك في الصباح بشير … وأنيس إن غاب طائر أنسي

يا ابنة الصبح كم رأى الصبح مني … نظرات المتيم المسحور
من بنات الهديل أقبس لحني … حبذا السجع في صفاء البكور
وسطور الرياض تبهر عيني … فأملي بوشيهن سطوري

كان هذا الزمان حلماً تقضى … أي حلم خياله لن يزولا
أي حسن يبقى على الأرض غضاً … آية الحسن أنه لن يطولا
كم قطعت الرياض طولا وعرضاً … فرأيت النماء ثم الذبولا

يا ابنة الصبح قد ذكرت زماني … حين أومأت في رواء بديع
كل شيء بعثت إلا الأماني … أفلا كنت مثل هذا الربيع؟

الخفيف

البريد الأدبي

مظاهرة علمية خطيرة :

تفيض الصحف الانكليزية فى التعليق على موقف الجامعات الانكليزية من الدعوة التى وجهت إليها من جامعة تبنجن Teubingen الألمانية للاشتراك فى عيدها الذى سيقام فى يونيه القادم احتفاء بانقضاء مائتى عام على تاسيسها ، فقد قررت الجامعات الانكليزية كلها أن تعتذر عن قبول الدعوة وأن تقاطع هذا الاحتفال ، ويقولون إن الجامعات الأمريكية قد تحذو حذو الجامعات الانكليزية في هذه المقاطعة . وقد كان لهذه المقاطعة العلمية وقع عميق فى المانيا . وقد شرحت الصحف الانكليزية موقف الجامعات الانكليزية ، فقالت إنه لا يرجع إلى أية بواعث سياسية ، ولا يرجع بالأخص إلى أية خصومة نحو المانيا أو الشعب الألمانى ، ولكنه يرجع إلى بواعث علمية محضة ، ذلك أن المانيا الهتلرية قد أخضعت العلم للسياسة وبالغت فى اضطهاد الفكر ، وجعلت من الجامعات الألمانية أدوات للدعاية السياسية والجنسية ، وسحقت بذلك هيبة العلم وثلت تراث الجامعات الألمانية ، وقد كانت فى مقدمة جامعات العالم صيتاً وهيبة ؛ ولم تبق الجامعات الألمانية كما كانت قبل قيام الحكم الهتلرى منابر لأعلان الحقائق العلمية ، بل غدت منابر لبث النظريات العنصرية والسياسية والجرمانية الجديدة وتسخير الحقائق العلمية لخدمة مزاعم سادة المانيا الجدد ومبادئهم المفرقة . وقد علقت مجلة « سبكتاتور » الانكليزية على هذا الحادث بمقال رنان استعرضت فيه حالة التفكير الألمانى الحاضر وما انتهى اليه فى ظل الطغيان الهتلرى من الانحلال ، وأشارت بهذه المناسبة إلى ما صرح به وزير المعارف الالمانية فى العام الماضى فى الاحتفال بعيد جامعة هيدلبرج ، من « ان العلم الألمانى الجديد يرفض المبدأ القائل بأن شرف العلم وغايته ينحصران فى البحث عن الحقيقة دائماً » ؛ وأشارت إلى ما وقع فى العهد الحاضر من تخريب الجامعات وتشريد الأساتذة بسبب كونهم من اليهود ، أو لأنهم من خصوم النظام الحاضر حتى بلغ ما طرد منهم فى الأعوام الثلاثة الأخيرة أكثر من ألف وسبعمائة أستاذ بينهم فطاحل العلم الألمانى فى كل فن وضرب .

وهذه أول مظاهرة دولية علمية خطيرة ضد المانيا الهتلرية وسيكون لها بلا ريب مغزاها العميق فى الحكم على المبادىء والمزاعم المفرقة التى تتخذها المانيا النازية شعاراً لها وخصوصاً فى المسائل العلمية التى تعتبر بالاجماع مسائل إنسانية تهم العالم بأسره ، ولا يمكن أن تدعى فيها أية أمة أو دولة شيئاً من الاختصاص ، ولا يمكن أن تسيرها سوى المباحث والحقائق المجردة عن كل اعتبار قومى أو جنسى او سياسى .

كتاب عن الواحات المصرية النائية

أصدرت الجمعية الجغرافية الملكية المصرية أخيرا مؤلفاً جديدا بالفرنسية عنوانه « الاكتشافات الأخيرة فى صحراء لوبية » Récentes Explorations dans le Désert Libyque بقلم الكونت الماسى الرحالة المعروف ؛ وفيه يقص المؤلف محاولاته لاستكشاف واحة « زرزورة » ، وهو اسم كان يجرى على الالسن مجرى الأسطورة ؛ وكان أول أوربى ذكره هو الرحالة الانكليزى ولكنسون فى كتابه الذى صدر سنة ١٨٣٥ ، وهو يصف الاسم بانه علم على واحة تقع بعيدا فيما وراء الواحات المصرية الغربية ؛ وأسفرت الاكتشافات الصخرية فى الأعوام الأخيرة عن اكتشاف صحراء « العوينات » ، التى لم تكن معروفة فى الناحية المصرية من الصحراء ؛ وكان عرب الواحات المصرية يعتقدون انه ليس بعد واحاتهم أى واحة أو بقعة خضراء أخرى تجاه الغرب .. ثم اكتشفت واحة الكفرة بواسطة عرب من قبيلة الزاوية التى نزحت من برقة

استطاعوا الاتصال ببعض سكان صحراء تيبو المجاورة . وفى سنة ١٩٢٣ قام البرنس كمال الدين برحلته الأولى الى العوينات، وتبعه بعد ذلك السير جلبرت كلايتون وا كتشف كلاهما بعض الأودية الجديدة . وفى سنة ١٩٣٣ قام الكونت الماسى برحلة أخرى الى واحة العوينات ، واتصل فى واحة الكفرة ببعض زنوج تيبو ، وا كتشف بواسطتهم بعض وديان أخرى . ويستعرض المؤلف هذه الرحلات الصحراوية الشائقة ، ويورد بعض النصوص والمقارنات التاريخية القديمة من أقوال هيرودوتوس وغيره ، ويورد صورا لبعض النقوش العتيقة التى عثر عليها فى بعض صخور الصحراء

الفن المصرى القديم

صدرت أخيراً طبعة انكليزية لكتاب الفن المصرى القديم تأليف الدكتور هيرمان رانكه العلامة الأثرى . وأهمية هذه الطبعة فى أنها تسهل على القارىء اقتناء هذا السفر وقد كان من قبل بطبعته الألمانية التى أصدرتها شركة فيدون النمسوية الشهيرة محجوبا عن القارىء لارتفاع ثمنه إلى بضعة جنيهات للنسخة الواحدة ، إذ تعتبر الطبعة الألمانية من حيث الصور الفنية والتلوين تحفة فنية لا يستطيع اقتناءها سوى الهواة ودور الكتب . أما الطبعة الانكليزية فمع أنها قد احتوت جميع اللوحات والصور الفنية فان ثمنها لا يتجاوز ثمانية شلنات

ويحتوى الكتاب على تاريخ للفن المصرى القديم بقلم الدكتور رانكه وعلى موجز لتاريخ مصر الفرعونية ، وبه ٣٤٠ لوحة وصورة فنية ، منها صورة بديعة لرأس الملكة نفرتيتى تبين بوضوح سحابة عينها اليسرى وهو عيب لا يبدو فى الصور الجانبية ، وصور عديدة لأبدع التماثيل والرسوم الفرعونية الشهيرة ؛ وفى الاستعراض النقدى الذى يقدمه الدكتور رانكه عن الفن المصرى القديم مقارنات وملاحظات قيمة جداً من الوجهة العلمية والفنية

كتاب للمرشال دى بونو عن الحرب الحبشية

شغلت الأوساط السياسية والأدبية فى أوروبا هذه الأيام بالكتاب الخطير الذى وضعه المارشال دى بونو أول قائد عام فى الحملة الايطالية على الحبشة عن هذه الحرب وأسماه (العام الثالث عشر، الاستيلاء على إمبراطورية) وسر الضجة العظيمة التى أثارها هذا الكتاب هو ما حواه من أسرار واعترافات عن تأهب ايطاليا للحملة قبل ظهور الذرائع التى تذرعت بها لارسال جيوشها والاصطدام بالاحباش، ثم ما جاء فيه عن الأساليب التى اتبعها للتمهيد للفوز فى الحرب . فقد اعترف بأنه وضع مع السنيور موسولينى خطة الحرب من سنة ١٩٣٣ وجعلاها سراً بينهما لكيلا يطلع عليها الجمهور فيقاوم الفكرة ؛ ثم بين ما دفعته ايطاليا من الرشى لاشتراء بعض الأحباش والجواسيس الذين بثهم فى أرجاء الامبراطورية فصار يعرف كل كبيرة وصغيرة فيها . وأشار الى أن ايطاليا أنفقت فى هذا الباب بسخاء عظيم وقد أفادتها الدعاية فحرمت الامبراطور من حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ محارب

ويسهب دى بونو فى وصف الاستعدادات العظيمة التى قامت بها ايطاليا قبل الحملة سرا وكيف زادت قواتها فى الاريترية وأنشأت المطارات وأرسلت الطيارات للاستكشاف على الاراضى الحبشية وأخذ الصور .

والظاهر ان ايطاليا كانت متوقعة أن تعلنها بريطانيا بالحرب فقد أشار الى أن موسولينى أرسل اليه قبيل الحملة يأمره أن يوقف الحرب الحبشية اذا أعلنت بريطانيا الحرب والتزام الدفاع عن الاريترية .

والكتاب مصدر بمقدمة من السنيور موسولينى نفسه

المبرد [1]

من مزايا ابن خلكان فى كتابه ضبط الاسماء وقد قال : « والمبرد بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشددة وبعدها دال مهملة وهو لقب عرف به . واختلف العلماء فى سبب تلقيبه بذلك » ثم ذكر قصة (المزملة) التى أوردها ابن الجوزى فى (كتاب الالقاب) وان صحت رواية فى (إرشاد الأريب) وهى « لما صنف المازنى كتاب الالف واللام سأل (المبرد) عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب ، فقال له المازنى : قم فأنت المبرد (بكسر الراء) أى المثبت للحق فحرفه الكوفيون

(١) راجع الجزء الماضي الصفحة ٦٦٨ الحاشية

وفتحوا الراء » . فان صح ذلك فقد غلب عليه اللقب المحرف على ان ابن خلكان يقول ان الذى لقبه بالمبرد (بفتح الراء) هو شيخه أبو عثمان المازني . ومما يثبت قول (وفيات الاعيان) هذه الطرفة : « لقى برد الخيار المغنى أبا العباس المبرد فى يوم ثلج بالجسر فقال له : أنت المبرد وأنا برد الخيار واليوم كما ترى ، اعبر بنا لا يهلك الناس من الفالج بسببنا » .

أحمد الفراء

تركيا تحيي ذكرى الفيلسوف العظيم ابن سينا

نشطت اللجنة التى تألفت أخيراً برعاية جمعية التاريخ التركى وبرآسة نائب سيواس فى المجلس الوطنى الكبير شمس الدين وعضوية كبار العلماء المشتغلين فى جمعية التاريخ التركى فى اتخاذ التدابير اللازمة للاحتفال بذكرى وفاة الحكيم الفيلسوف ابن سينا ، وذلك فى يوم ٢٠ يونيه القادم إذ يصادف ذلك اليوم بلوغ وفاة الفيلسوف الأشهر العام التسعمائة . وستقام هذه الحفلة الكبرى فى ابهاء الجامعة التركية بعد انجاز جميع المعدات

وتشير جريدة قورون التركية إلى هذا الاحتفال الممتاز قائلة :

« إن الفيلسوف ابن سينا الذى طبقت شهرته الشرق والغرب ، كان أبوه من بخارى ، وأمه من بلخ ، فهو ولا ريب كان تركياً ؛ بيد أنه لما كانت اللغة العربية على عهده هى لغة الثقافة فى العالم الاسلامى قاطبة فقد كتب ابن سينا جميع تآليفه بالعربية باستثناء مؤلفين وضعهما باللغة الفارسية .

أما تآليف ابن سينا فتقسم إلى ثلاثة أقسام كبيرة : الطب والفلسفة والاخلاق ، ويؤلف كل من هذه الاقسام الثلاثة مجلدات ضخمة ، وكتابه الموضوع فى الطب باسم (القانون) قد ترجم إلى اللغة التركية ترجمه عالم تركى يدعى توقاتلى مصطفى ؛ وهذه الترجمة موجودة اليوم فى مكتبة بايزيد وهى مكتوبة بالخط وفى مجلدات يبلغ عددها العشرين مجلداً

وإننا لمغتبطون جداً لانصراف الهمة إلى طبع كتاب ابن سينا (القانون) طبعا جديدا لمناسبة الاحتفال بذكراه . وستنشر لجنة الحفلة مؤلفا تضمنه شخصية ابن سينا العلمية والفلسفية تشرف على تأليفه طائفة من كبار العلماء المتضلعين فى الطب والفلسفة والاخلاق . وستعرض فى الحفلة تآليف ابن سينا المطبوعة والمخطوطة »

إلى المشتركين بالتقسيط

لقد اشترطنا حين فتحنا الاشتراك المخفض المقسط للطلاب ولرجال التعليم الإلزامى أن تكون الأقساط متتابعة ، والاخلال بهذا الشرط يستوجب طبعا إلغاء الاشتراك . فكل من لم يدفع القسط الرابع إلى اليوم أو الثالث من باب أولى ستنقطع عنه الرسالة والرواية ابتداء من هذا العدد .

النقد

اسماعيل المفترى عليه

تاليف القاضى بيير كربتيس

وترجمة الأستاذ فؤاد صروف

— ٢ —

ذكرنا فى العدد السابق المبادىء الأساسية التى يجب أن يتقيد بها كل مترجم والتى يحكم بمقتضاها على ترجمته . واليوم ننتقل إلى الترجمة نفسها ؛ ونحب قبل هذا أن نذكر للأستاذ حسنة من حسناته وهى إصلاحه خطأً مطبعياً وقع فى الكتاب . ذلك أن اسم محمود باشا وزير البحرية قد حرف مرة فكتب « محمد باشا » فتدارك الأستاذ هذه الغلطة وذكر اسمه الصحيح

كذلك أصلح الأستاذ غلطة مطبعية أخرى وهى قول المؤلف عند الكلام على امتياز القناة إنه لا يحق لأحد من حملة الأسهم أن يكون له أكثر من صوت واحد فأصلح المترجم ذلك إلى عشرة أصوات كما ورد فى الأصل الانجليزى بعد سطور قلائل

وإذا رجعنا بعد ذلك إلى الكتاب المترجم لم نجد الأستاذ صروف قد وفى بالشرط الأول؛ ولسنا نريد أن نقول إن الأستاذ غير ملم بتاريخ اسماعيل وكل مايتعلق به . كلا إنا نعتقد أنه ليس فى الكتاب المصريين ولا سيما رجال الصحافة من لايعرف تاريخ اسماعيل ، ولكن الأستاذ لسبب مالم يكلف نفسه عناء البحث عن صحة الأسماء وبخاصة الأسماء التركية فحرف بعضها تحريفاً يضل القارىء ويربكه ؛ وبدل أن يرجع إلى المصادر المطولة ليحقق هذه الأسماء وضع بدلها أسماء من عنده كثير منها لايتسمى به الأتراك . وقد تكون هذه الأسماء لأشخاص نكرات ولكن هذا لايعفى المترجم من البحث عنها وضبطها ؛ والأتراك فى مصر كثيرون ومن السهل على الأستاذ أن يعرف حقيقة الأسماء منهم إذا لم يشأ أن يرجع إلى الوثائق التى وردت فيها أو إلى كتب التاريخ نفسها ؛ وبعض هذه الأسماء لرجال شغلوا أكبر مناصب الدولة ولم يكن يليق والحالة هذه أن تحرف . وإلى القارىء مثل واحد من هذا النوع يدل على الفرق بين الأسماء الأصلية والأسماء التى أوردها الأستاذ . ذكر المؤلف اسم أحد الأتراك الفارين من الاضطهاد وكتبه هكذا Suavir Eff ، وبدل أن يحقق الأستاذ هذا الاسم ليعرف أن صاحبه هو على سعاوى أفندى ، كتبه موافى أفندى مع أن الحروف الانجليزية أقرب ماتكون إلى الاسم التركى ، وأمثلة هذا كثيرة . كذلك لم يتقيد الأستاذ بالمصطلحات العلمية الدقيقة الصحيحة واخترع بدلها ألفاظاً من عنده لا يقبلها الذوق فسمى الدين السائر بالدين العائم وذكر هذا اللفظ الأخير فى مواضع متعددة مع أنه قد استعمل اللفظ الصحيح الأول مرة فى الترجمة ولا ندرى لم عدل عنه واستبدل به اللفظ الآخر . وسنذكر هذا كله مفصلا فيما بعد

ننتقل بعد ذلك للأمانة والدقة فى الترجمة ومطابقة الكتاب المترجم للأصل فنقول إن الأستاذ لم يكن موفقا فى هذه الناحية أيضاً فلم يحرص على معانى المؤلف بل تناولها بالحذف والتغيير بغير سبب ؛ فالعبارات التى تحتاج إلى شىء من العناية لفهمها أو التعبير عنها قد حذفها أو بدلها ، وكثيرا ماوضع بدلها عبارات تؤدى عكس المعنى المراد ، بل إن كثيراً من العبارات السهلة العادية قد نالها أيضاً مانال اخواتها الصعبة . وسيرى القارىء فيما بعد أمثلة من ذلك .

أما أسلوب الكتاب فيختلف باختلاف أجزائه ، فالجمل فى بعض أجزائه مرتبطة متصلة وفى البعض الآخر مفككة منقطعة العلاقة ، وحروف العطف التى استعملها لربط هذه الجمل لاتظهر هذه الصلة ؛ ويشعر القارىء وهو يطالع الفصول الأخيرة من الكتاب بنوع خاص أنه يقرأ جملا مترجمة منفصلة لاموضوعا تاريخياً مرتبط الأجزاء .

وأما التشبيهات والأمثال الواردة فى الكتاب فقد ترجم الأستاذ الكثير منها ترجمة لفظية سببت غموض المعنى مع أن اللغة العربية كما قلنا غنية من هذه الناحية ، ويستطيع الباحث أن يجد فيها مايغنيه عن هذه الترجمة فى معظم الأحيان . وبعضها قد حذفه الأستاذ ولم يترجم لفظه أو معناه

هذه كلمة مجملة عن الترجمة ننتقل بعدها إلى بيان الأغلاط التي وقعت فيها. وكنا نحب أن نقسمها أنواعا ونذكر كل نوع على حدة، ولكننا وجدنا فى ذلك عناء ووجدنا وقتنا أضيق من أن يتسع إلى هذا الترتيب، ولذلك سنذكر أغلاط كل فصل مجتمعة. وقد أحصينا أغلاط الفصول الأولى من الكتاب فوجدناها لاتقل عن خمسين فى كل فصل لاتدخل فيها عيوب الأسلوب وسنكتفى بذكر أمثلة منها:

(١) قال الاستاذ صروف مشيرا إلى الفرمان الذى انتزعه محمد علي من السلطان أنه « يقضى باحترام شعائر الاسلام » بنصه على أن وراثة العرش تكون لأكبر أفراد الاسرة. وليس هذا من شعائر الاسلام فى شىء ولم يقل المؤلف ذلك بل قال إنه يقضى باحترام التقاليد الاسلامية Traditions وفرق بين التقاليد والشعائر

(٢) وترجم الاستاذ Intellectical monenity بالجهل ومعناها الحقيقى الغباوة أو عدم الفطنة

(٣) وترجم European progress بقوله أنه كان يكره « كل ماهو غربى »، وهذا تعميم لم يقله المؤلف بل قال انه يكره الحضارة الغربية

(٤) وترجم عبارة Ghastly farce برواية هزلية وإذا صح ترجمة farce برواية هزلية فأين ترجمة Ghastly وهى تؤدى معنى جديدا هو الذى ينطبق على هذه المهزلة، وهل غاب عن الاستاذ لفظ مروعة أو رهيبة أو نحوهما

(٥) He reached Cairo with his mute Companion without exciting suspicion.

اقتصر الأستاذ فى ترجمة هذه العبارة كلها على قوله « ووصلا إلى القاهرة من دون أن يدرى أحد بالحقيقة » وإذا فرضنا أن عبارة without exciting suspicion تؤدى معنى من دون أن يدرى أحد بالحقيقة وهو ما لا نسلم به فأين ترجمة with his mute companion أى مع رفيقه الصامت يريد جثة الوالى.

(٦) Aided by the habitual Shrinking from observation which characterised his master.

ترجم الأستاذ هذه العبارة بقوله: إن عباسا « اعتاد أن يسير فى طريقه لا يلتفت يمنة ولا يسرة » ولا ندرى كيف يستطيع الوالى أن يسير فى الطريق دون أن يلتفت يمنة ولا يسرة. وهل هو جندى فى ميدان التمرين؟ وليس فى العبارة الانجليزية من الغموض ما يعذر الأستاذ معه على هذا الخطأ فى ترجمتها بل هى سهلة لالبس فيها ولا غموض ومعناها « وساعده على ذلك ماعرف عن سيده من كره رؤية الناس إياه »

(٧) He caused his guns to be pointed on the city, strongly reinforced the garrison and declared the truth.

ترجم الأستاذ العبارة السابقة بقوله « أمر بتصويب مدافعها إلى مدينة القاهرة وكانت تحرسها حامية قوية » والمؤلف لم يقل إن حامية القلعة كانت قوية بل قال إنه « عزز حامية القلعة »

(٨) The prince to whom this cold blooded stage-manager sought to transfer his master's throne was Abbas Pasha's eldest son.

ترجم الأستاذ هذا المعنى كله بقوله « وكان الأمير إلهامى هذا ابن عباس باشا الأكبر » ولا ندرى لم أغفل الأستاذ كل مافى العبارة الانجليزية من معان لم يذكرها كاتبها عبثاً وهل صعوبة ترجمتها تبرر هذا الاغفال؟

(٩) Had not diplomatic pressure put the fear of God into the breast of the intriguing governor.

قال الأستاذ فى ترجمة ذلك « لولا الضغط السياسى الذى أعاد محافظ القاهرة إلى صوابه وأوقع الفشل فى فؤاده » فهل هذا هو المعنى؟ أو أن معنى عبارة المؤلف « لولا قوة دبلوماسية (أو سياسية إذا شاء) أشعرت المحافظ الدساس خشية الله.

(١٠) He gave orders that the youth should climb the mast..., them jump the rope, row for a while.

ترجمت هذه العبارة هكذا: وأمر أن يتسلق صارى أحد المراكب... ثم يقفز من الصارى إلى الماء ويسبح زمنا!

فهل معنى Jump the rope يقفز من الصارى إلى الماء؟ وهل معنى row يسبح فى الماء؟

(١٣) To safeguard the child's morals... He should visit no other house than that of Mathieu.

ترجمت هذه العبارة هكذا « ومنعه من زيارة أى منزل من منازل العامة » فأضاف العامة من عنده وجعل القارىء يفهم انه كان يسمح له بزيارة منازل الخاصة. ثم أين سبب هذا المنع وهو حرص محمد علي على أخلاق سعيد؟

(١١) When the two young men were revelling in the joys of the Latin quarter de Lesseps did not suspect etc... His attention was not yet riveted upon the Isthmus of Suez.

لم يترجم الأستاذ أول هذه الجملة وآخرها واكتفى بترجمة وسطها وكلاهما يؤدى معنى؛ فالجزء الأول يشير إلى أن دلسبس وسعيد كانا يمرحان فى مسرات الحى اللاتينى بباريس، والثانى يدل على أن برزخ السويس لم يكن قد استرعى نظره.

(١٢) De Lesseps was marking time and temporarily unassigned.

قال الأستاذ فى ترجمة ذلك « ولبث دلسبس يترقب الفرص » ولكن أين قول المؤلف إنه لم يكن يتولى منصباً أو يقوم بعمل

معين . وهل صعوبة هذه العبارة تبرر حذفها ؟

(١٣) And by placing France in control of that strategic waterway make bis country mistress of the seas.

كل ما ترجم به الأستاذ هذه العبارة هو قوله « لكى تصبح فرنسا سيدة البحار » وترك الجزء المهم وهو قول المؤلف « بسيطرتها على هذا الطريق المائى ذى المركز الحربى الخطير

(١٤) It had but one immediate objective, simple and well-defined but not too obvious.

اقتصر فى ترجمة العبارة السابقة على قوله « كانت غايته المباشرة أن . . » وترك الصفات التى وصف بها المؤلف هذه الغاية ؟

(١٥) All at once a rainbow of surprising beauty charmed my vision running from East to West.

قال الأستاذ صروف فى ترجمة هذه العبارة وخيل إلى وأنا أنظر إلى السماء أننى أرى قوس قزح ذات جمال باهر .

فهل خيل إليه أنه رأى قوس قزح أو أنه رأى قوس قزح حقا ؟ وأين هذه العبارة العربية من عبارة المؤلف المنقولة عن دلسبس نفسه والتى يقول فيها « ثم ظهرت على حين غفلة ندأة فى السماء امتدت من الشرق إلى الغرب وكانت ذات جمال خلاب افتتن به ناظرى » وكل ما وصف به دلسبس هذه الحادثة فى حاجة إلى أسلوب غير الأسلوب الذى ترجمه به الأستاذ صروف .

(١٦) وصف المؤلف موقف محمد على من قناة السويس والتجارة الأوربية الهندية بقوله :

He did not adopt a dog-in-the-manger attitude.

أى أنه لم يكن من أولئك الذين لا يفعلون الخير ويمنعون غيرهم من فعله وقد ترك الأستاذ العبارة من غير أن يحاول ترجمتها

(١٧) My studies and reflections about the canal passed repidly through my mind.

قال الأستاذ صروف فى ترجمة هذه الجملة « ومرت بمخيلتى صورة ترعة السويس بسرعة البرق » ومعنى العبارة بالضبط « وأخذت أفكارى وأبحاثى عن قناة السويس تمر بخاطرى سراعا »

(١٨) Professor charles W. Halberg of Syracuse University

عرب الأستاذ Syracuse بسرقسطة فنقلها بذلك مكان Saragossa

(١٩) Halberg agrees with the judge who resigned and the deposed sovereign.

« قال فى ترجمتها وذهب الأستاذ هلبرج مذهبا يتفق وماذهب إليه القاضى الهولندى الذى تقدمت الاشارة إليه » فأين هذا من عبارة المؤلف التى يقول فيها « إنه يتفق فى الرأى مع القاضى المستقيل والأمير المخلوع » ويقصد بالأمير المخلوع سمو الخديو السابق

(٢٠) He had a hobby and he was enamoured of it.

تركها الأستاذ من غير ترجمة

(٢١) L'homme le plus desinterrsé du monde.

ترجمت هذه العبارة هكذا « إنه كان أزهد الناس فى العالم » . فهل هذا هو معنى العبارة الفرنسية . أترك الجواب عن ذلك إلى الأستاذ الكبير صاحب الرسالة .

(٢٢) He had everything to gain and nothing to lose

لم يحاول الأستاذ صروف ترجمة هذه العبارة على سهولتها ووضوح معناها الذى لم تسبق الاشارة إليه فى الكتاب

(٢٣) Moh. Said is to be judged by other standards.

ترجم الأستاذ هذه العبارة بقوله « فالحكم عليه يجب أن يكون مع مراعاة هذا الاعتبار » والمؤلف يقول إن الحكم عليه يحتاج إلى موازين أخرى (غير الموازين التى توزن بها أعمال دلسبس) فأيهما أوضح ؟

(٢٤) But when hours become days, days weeks, and weeks months, his stranglehold usually weekens.

لم نعثر فى الكتاب على ترجمة هذه العبارة فهل هى خالية من المعنى أو أن معناها لا يستحق الترجمة ؟

(٢٥) « وأن رئيس دولة يمنح أحد رعاياه امتيازاً » زاد الأستاذ من عنده على عبارة المؤلف قوله « أحد رعاياه » وهى زيادة لا مبرر لها أفسدت المعنى ولا ندرى ما الذى دعا الأستاذ إليها وهو الذى حذف من عبارات المؤلف ما حذف

(٢٦) And drew his moral portrait in the act.

هل معنى هذه العبارة « هو » وسىء إلى ذكراه بنفسه » كما قال الأستاذ صروف أو أن معناها « هو » ويكشف عن خبيئة أخلاقه » قد يقول الأستاذ صروف إن هذه العبارة هى وما قبلها « يقضى على طيب أحدوثته » ترجمة لقول المؤلف Wrote his own epitaph

وفى هذه الحال يكون قد ترك العبارة الثانية من غير ترجمة

(٢٧) That day which began with a rainbow and ended with a target practice.

لم يزد الأستاذ فى ترجمة هذه العبارة على قوله « اليوم الذى سبقت الاشارة إليه » فهل هذه العبارة الغامضة تؤدى معنى عبارة المؤلف

(٢٨) It might have been proclaimed from the house tos and probably was.

لم ير الأستاذ أن هذا المعنى يستحق الترجمة فتركه

هذه طائفة من أغلاط الفصل الأول من كتاب اسماعيل ذكرناها على سبيل المثل نضعها أمام القراء حتى لا يخفى عليهم ما كتبه المؤلف نفسه ؛ ونقول بعد ذلك إنصافا للأستاذ صروف أن أسلوب هذا الفصل ليس فيه من التعقيد ما فى الفصول الأخيرة

وسنذكر فى العدد التالى أغلاط الفصل الثانى إن شاء الله

الغنيمى

(١) لعل الصواب أنزه لا أزهد « الرسالة »

الكتب

(١) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية
تأليف الأستاذ محمد عبد الله عنان

(٢) من حديث الشرق والغرب
تأليف الدكتور محمد عوض محمد

للأستاذ محمود الخفيف

هما كتابان، أشعر بكثير من الغبطة إذ أقدمهما للقراء على صفحات الرسالة، ذلك لأنى أرى فى كليهما مظهراً من مظاهر الحركة الفكرية الحديثة فى مصر، جديراً بالاعتبار والعناية.

أما أولهما فأثر جديد من آثار الأستاذ عنان، والأستاذ عنان كما أعتقد، قد أصبح بآثاره وبحوثه ناحية مستقلة فى نهضة التأليف المعاصرة، ذلك أن آثاره تمتاز جميعاً بما تمتاز به الآثار العلمية القيمة، من دقة البحث، مع استقامة النهج ووضوح الغاية، وقوة الأسلوب؛ هذا إلى أصالة وسلامة منطق وبسطة فى العلم، تظهر كلها واضحة فى تمحيص الروايات المختلفة فيما يعرض الأستاذ من حوادث وفيما يسرد من وجوه الرأى.

عرفنا له تلك الخلال فيما سلف من آثاره، وإنا لنراها اليوم على خير ما يرجى من كتابه هذا، فهو يدور حول موضوع كان ولا زال مثار الجدل الشديد ومبعث التناقض والاضطراب؛ ومن ثم فهو موضوع تظهر فيه مدى قوة المؤلف ونشاط ذهنه، وحسبك الحاكم بأمر الله وحوادث عصره، وما اكتنف شخصه من غموض وخفاء.

على أن الكتاب لا يدور كله على الحاكم، بل إن نصيب الحاكم منه لا يزيد على نصفه بكثير. ولقد أحسن الأستاذ صنعا، إذ جعل بقية الكتاب لدراسة أسرار الدعوة الفاطمية وخواص العصر الفاطمى، هذا إلى ما أورده الاستاذ فى نهاية كتابه من الوثائق والسجلات الفاطمية.

مهد الأستاذ عنان لبحثه بمقدمة موجزة متينة عن حال مصر قبيل الفتح الفاطمى، ثم بكلمة عن نشأة تلك الدولة فى مهدها، ودكر بعد ذلك فتح مصر وأورد طرفاً من سيرتى المعز والعزيز، كل ذلك فى إحكام المؤرخ المتمكن الذى يستطيع على رغم الايجاز أن يمهد السبيل لموضوعه خير تمهيد.

تناول الأستاذ بعد ذلك سيرة الحاكم، وشرح فى جزالة ووضوح خلاله وصفاته وما لجأ اليه من سفك الدماء وما أقام من مراسيم اجتماعية ودينية، وما اكتنف الدولة من الاحداث الخارجية، ثم ما كان من أمر اختفائه، ويعجبك منه فى هذا القسم من كتابه مهارة مناقشته الروايات المختلفة ودقة التعليق عليها، تتبين ذلك فى مثل شرحه لنسب الحاكم وأخته ست الملك، ثم فيما أورد من روايات عن صفاته ومزاجه وأخيرا فى حادث اختفائه.

على أن أهم الأشياء عندى فى الكتاب وأولاها بالدرس والاعتبار، هو رأى الأستاذ المؤلف فى الحاكم وصفاته، وهو رأى لم يسبقه إليه غيره فيما أعرف، فالاستاذ لا يرى فى الحاكم ما اعتاد المؤرخون أن يروا فيه من رجل معتوه أخرق، يبطش لمجرد البطش، ويصدر من الأحكام الغريبة ما يدل على شذوذ وحمق. بل إنه على العكس يراه مصلحاً من كبار المصلحين، كانت أعماله التى اعتاد الناس استنكارها وسائله إلى ما يتوخى من إصلاح لا أكثر من ذلك ولا أقل: نعم كان الحاكم عنده، ذهناً بعيد الغور، وافر الابتكار، وكان عقلية تسمو على مجتمعها وتتقدم عصرها بمراحل، وكان بالاختصار عبقرية يجب أن تتبوأ فى التاريخ مكانها الحق،

والاستاذ لا يرسل القول جزافاً، وكيف يقع لمن كانت له مثل متانة حجته وحصافة رأيه أن يجازف برأى؟ وإنما راح الاستاذ يدافع عن رأيه هذا دفاعا قوياً يبهرك ويستميلك.

أليس القتل والطغيان هما من أقوى وسائل الديكتاتوريات الحديثة فى إقامة نظمها؟ ثم أليست سياسة الحاكم هى السياسة الميكيافيلية التى قد يلجأ اليها كثير من الحكومات فى شتى

الظروف ؟ أليس الحد من حرية النساء مما تلجأ اليه اليوم المانيا النازية وايطاليا الفاشستية من وسائل محاربة الخلاعة والفجور اللذين يؤديان الى انحلال المجتمع؟ إلى غير ذلك من حجج الاستاذ وآرائه النيرة الظريفة التي تشوقك وتلذك . والاستاذ لا يبرر بها مسلك الحاكم كما استدرك ، ولكنه يدفع بها ما اتهم به .

بيد أنى وإن أعجبتنى تلك الآراء واستمالتنى فى كثير من المواقف ، قد أحسست شيئاً من الصعوبة فى أن أحمل نفسى على الأخذ ببعضها . نعم رأيت مشقة فى أن أنفى الشذوذ بل الجنون عن شخص يحرم الجرجير لأنه ينسب إلى السيدة عائشة ، والملوخية من أجل معاوية ، والمتوكلية من أجل الخليفة المتوكل العباسى ؟ وكيف أسيغ تشجيعه الدعوة الإلحادية ؟ وعلى أى أساس من العقل أحمل قتله قائده الفضل بعد أن هزم أبا ركوة الذى احتل مصر ؟ بل كيف يجوز فى عقل خروجه ليلا إلى الجبل على ظهر حماره فى غير قوة تحميه على الرغم مما كان يضطرم به المجتمع يومئذ من الرغبة فى الانتقاض عليه والتخلص من طغيانه .

على أن الأستاذ يصرح فى نزاهة المؤرخ وإنصافه « أنه ليس يدعى أنه يستطيع أن يعلل كل قوانين الحاكم وإجراءاته وتصرفاته أو أن ينفذ إلى بواعثها وحكمتها جميعا ، فهناك كثير منها مما لا يستطاع فهمه وتعليله » .

وقصاراى فى هذا المجال الضيق أن أعلن إعجابى بهذا الكتاب ، وأن أنوه بما أفدته من دراسة أسرار الدعوة الفاطمية ونواحى العصر الفاطمى ، ذلك العصر الفذ الذى تجد من آثاره الأزهر المعمور - دراسة لم أظفر بمثلها فيما كتب حديثا عن الدولة الفاطمية . وكم كان عظيما من الأستاذ عنان ذلك الجهد المرير الذى تستبينه فيما يشير إليه من مراجع مكتوبة وخطية ليس ثمة من يستوعبها إلا من كان له مثل جلده ودأبه واخلاصه . ولا عجب أن جاء كتابه مظهراً من مظاهر الجد والقوة فى نهضتنا الأدبية ، وهو مطبوع طبعاً جميلا فى دار النشر الحديث ويقع فى مائتين وست وسبعين صفحة من القطع الكبير، بآخره ثبت حافل للمصادر ، وفهرس أبجدى عام

— ٢ —

يأتى بعد ذلك الكتاب الثانى « من حديث الشرق والغرب » للدكتور عوض ، وأحب أن أتخطى الكتاب إلى صاحبه برهة فأعرض عليك طرفاً من خلاله ، لا أرى مندوحة عن عرضه فى مثل ذلك المقام . الدكتور المؤلف بما له من مكانة فى حياتنا الأدبية غنى عن التعريف ، ولكنى أذكر لمن لم يعرفه إلا فى آثاره أن من أبرز صفاته الذكاء الحاد وعذوبة الروح ومحبة الأدب حباً صادقاً ، حتى لو أنه حاول بكل ما فى وسعه أن يهجر الأدب لما استطاع ذلك الهجران ؛ محدث ماهر طلى الحديث ، يميل إلى الفكاهة ولكنها الفكاهة التى يتخللها الجد المرير فى غالب المواقف ؛ يحب قومه وبلاده حباً مؤكداً ؛ مثقف من الطراز الأول فى الادبين العربى والغربى .

ذكرت من خلاله ماذكرت لأمر يعنينى الساعة ، ذلك أن كتابه الذى أقدمه لك صورة صادقة من شخصه ، وذلك لعمرى خير ما يوصف به كتاب لصاحبه مثل هاتيك الخلال . ولا جرم أن الصدق فى الآثار الأدبية أكبر عامل فى نفاذها إلى القلوب ودوامها على الأيام ، وإنك لتجد الصدق فى هذا الكتاب فى مقدمة فضائله

وبعد فما موضوع هذا الكتاب ؟ أهو سلسلة مقالات فى شتى الفنون ؟ كلا فلست تجد فيه ما تجد غالباً فى المقالات من غلظة وثقل يتقاضيانك كد ذهنك والتحامل على نفسك . إذاً فهل هو قصة أو مجموعة من الأقاصيص ؟ كلا ليس هو من ذلك الفن من فنون الأدب وإن كنت تحس روح القصة وتتمثل شبحها فى كثير من مواضعه . ليس الكتاب من أدب المقالة وإن كان موضوعات متفرقة ، ولا هو من القصة وإن كان للكثير من موضوعاته شبحها ، وإنما هو « حديث » نعم هو « أساطير وخاطرات خطرت ملكت على الفكر سبله فلم يستطع تشريدها أو الفرار منها » .

ينتظم هذا الكتاب ما جاشت به نفس صاحبه من معان وخطرات ، فاذا عدت الى ما سردت عليك من خلاله ، أمكنك أن تدرك موضوع الكتاب جملة وتلمح شيئا من روحه .

ذكرنى هذا الكتاب الطريف الفذ ، بآثار الأديبين الانجليزيين الكبيرين « اديسون » وصاحبه « ستيل » . عمد هذان الكاتبان فى كثير مما كتبا فى مستهل القرن الثامن عشر الى نقد بعض أحوال المجتمع ودراسة بعض الأشخاص ، بطريقة لطيفة هادئة ، لا ترى فيها أثرا للهجوم اللاذع ولا التجريح القاسى

العالم المسرحي والسينمائي

اليتيمة

على مسرح الأوبرا الملكية
إخراج الفرقة القومية المصرية

استأنفت الفرقة القومية موسمها الثانى ابتداء من مساء الأحد الماضى ١٨ ابريل الجارى ، مفتتحة هذا الشطر من الموسم بمسرحية محلية هى « اليتيمة » من وضع الأديب السعيد يوسف موسى

وقد عالج المؤلف فى مسرحيته ناحية من نواحى النقص الاجتماعى فى البيئة المصرية ، إذ جعل من بطل الرواية وبطلتها ضحيتين للتقاليد القديمة الموروثة المتسلسلة فى دماء الطبقة العليا فى الشعب ، الذين لا يزالون يستمسكون بمعتقداتهم فى أن الله جعل الناس طبقات فى الغنى والجاه والحسب والنسب ، وليس فى العلم والفضل والقيمة الاجتماعية ، ولا يعترفون بعاطفة إلا ما وافق منها تلك العادات البالية .

لهذا نرى صبرى باشا يقف حائلا شديد الكثافة بين ولده ووحيده ثابت الطالب الذى يدرس الاقتصاد السياسى فى فرنسا وبين ابنة ناظر زراعته المتوفى « أمينة » على الرغم من أنها نشأت فى بيت الباشا نفسه وتعلمت وتثقفت كابنته ، وعلى الرغم من تعلق ولده بها وولع كل منهما بصاحبه وتعاهدهما على الوفاء والزواج

لا يعبأ الباشا بهذه الاعتبارات ، فينتهز فرصة عودة ابنه إلى فرنسا لاتمام دراسته ، ثم يرغم حبيبة ابنه على الزواج من أحمد افندى ناظر زراعته الذى حل محل أبيها

ولما كان هذا الزواج باكراه وإرغام ، فقد اعترى الفتاة يأس وأصابها غم ، فاستحال بيت الزوجية جحيما ، وانقلبت نعمى ذلك البيت الوادع بؤسا وشقاء ، واستمر الخصام بينها

البغيض ، بل ترى الرفق واللين اللذين يفعلان ما لا يستطيع العنف أن يفعل ، كل ذلك فى خفة روح ورقة دعابة وروعة تصوير

وأنت ترى ذلك واضحا فى كتاب الدكتور عوض ، وإنى أقرر هنا أنه ما قصر به فنه عن فنهما ، ولا نزل به أسلوبه عن مستواهما ؛ بل لست أغلو ان ذكرت أن بعض قطع عوض قد فاقت عندى بعضا مما قرأت لهما . خذ لذلك مثلا « فى طريق البغال » و « الثور فى مستودع الخزف » و « معهد الطفيليات »

اقرأ تلك وأمثالها ، فلا يسعك الا أن تسلم معى أنه يحق لأدبنا العصري أن يفخر بها . ثم اقرأ تلك القطعة : « الكائن الممسوخ » ، وانظر كيف كان الدكتور ماهرا مهارة يستحق عليها كل ثناء وتقريظ فى معالجة هذا الداء الوبيل ، داء الاهتمام بكل ما هو غربي فى رفق وقوة معا . لقد أعجبتنى تلك القطعة بنوع خاص ، وإنى أدعو شبابنا الى قراءتها وأستحثهم على ذلك

الكتاب كله كما قدمت صورة من نفس صاحبه ، فسواء استمعت الى الدكتور أو قرأت له ، فستجد الأمر سواء . فستظفر بعذوبة روحه فى فكاهاته البارعة ، وخطرات نفسه فى تهكمه الرقيق العميق ، كما ستلمس سموه فيما يتوخى من غرض وما يحرص على بلوغه من غاية . هذا وتحملنى صراحة الدكتور أن أذكر له قطعتين لم أسغهما كما كنت أحب ، هما « عاصفة فى قدح » و « عقد من اليشب » . ذلك أنى لم أجد محلا للملكين فى القطعة الأولى ، ولا انسجاما فى الزمن فى القطعة الثانية .

ولقد أذكر أيضا أنى لم أفهم ما الذى أحال العسل خلا فى قطعة « ثم أرادت أن تجعل منه رجلا » فجعل الزوج بغيضا فى عين زوجته

وإنى لأحس أن أدب الدكتور أعز علىّ من أن أمر على بعض هنات سقطت إلى أسلوبه دون أن أشير اليها ، ذلك أنه يضع فى كلامه عبارات معروفة تظهر نابية حين يوردها فى غير مواضع المزاح كقوله « أذن مؤذن الطعام » ، ثم كنت أعثر على بعض الأخيلة التى لم أسغها ، كقوله : « الهواء مغرب فى الضحك » و « سنديان الشقاء » و « مطرقة البلاء » و « شمر عن ساعد الفلسفة » ، وأمثالها .

على أن هذه كما ذكرت هنات ما أشرت اليها إلا لأنى رأيتها غريبة وسط هذا الأسلوب المشرق البديع ، فى هذا الكتاب الذى أحببته وأكبرته ، وأعتقد أن القراء سيحبونه مثل ما أحببت ، ويكبرونه مثل ما أكبرت . « الخفيف »

وبين زوجها واتصلت أسباب التشاحن والتغاضب حتى كره الزوج حياته وكره نفسه .

وفي صباح يوم نشبت بينهما مغاضبة اشتركت فيها « أم احمد » وجعلت تعير الفتاة وتهجوها وتقول إن الناس يتقولون على بيتهم منذ دخلته إذ يزعمون انها ما زوجت من ناظر الزراعة إلا لأن ابن مخدومه عبث بها ولوث شرفها وفوجئت الفتاة بهذا الاتهام فدهشت له وأدركها الحزن واليأس .

وجاء الباشا يعلن أن ابنه عاد من باريس وأنه قادم إلى هذا البيت ليرى « أمينة » وهو لا يعلم أنها تزوجت من احمد افندى

ويفزع الزوج لهذا الخبر ويجزع من رؤية هذا اللقاء ، فيستعفى الباشا ويذهب إلى الدائرة ويأخذ الباشا فى تهدئة الفتاة التى تشكو إليه ظلمها وتتضرع إليه أن يعفيها من هذا العذاب

وبينما هما فى ذلك إذ يدخل « ثابت » فتهرع إليه الفتاة وتتعلق بعنقه ويكون بينهما لقاء تطرب له قلوب العشاق وتنفطر له مرائر الأزواج الذين يكرهون على مثل هذه الزوجية ، ويطول بينهما العناق وتستمر شكواهما حتى يقول الفتى : أحبك إلى الأبد فيقول الباشا : حتى ولو كانت متزوجة ؟ . .

وينزل الخبر على الفتى نزول الصاعقة ويموت رجاؤه وينفصل عن الفتاة ، فترجوه وتبثه آلامها وتقول إنها أرغمت وأكرهت على هذا الزواج ، ولكنه يقول إنها لوثت ودنست بالزواج فهو لذلك يتركها ويدفن آماله فيها .

وحين تيأس الفتاة منه تلق بنفسها من النافذة وتنتهى القصة

وإلى هنا نجد أن المؤلف عالج الموضوع أو فى علاج وكشف عن مستور هذه العلة وبين سوء أثرها فى المجتمع موفقا فى ذلك أعظم توفيق ، ولذلك نعتقد أن الفرقة أنصفت حين اختارت هذه المسرحية واخرجتها .

* * *

أما إخراج الرواية فقد تولاه مخرج الفرقة الأستاذ عزيز عيد وليست لنا ملاحظات على إخراج هذه المسرحية إلا أنه فى الفصل الثانى حين استيقظت « أمينة وثابت » وهما فى بيت احمد أفندى ثم جاء الناظر وامه طلب هذا إلى والدته أن تجيئهم بطعام الافطار فخرجت لهذا الغرض ، ولكنهم لم يذكروا شيئا عن ذلك فيما بعد ولم يحضر الطعام .

* * *

وقد أدى « احمد علام » والسيدة زوزو حمدى الحكيم دورى البطولة فى هذه الرواية وبذلا فيه جهدا جبارا كان عاملا كبيرا فى نجاح الرواية إلى أبعد الحدود وفى آخر فصل من الرواية أظهرت « زوزو » منتهى ما تصل إليه عبقرية الممثلة

وكان جميع الممثلين يعرفون أدوارهم ويفهمونها تمام المعرفة والفهم ، فظهر وا بمظهر الاتقان البالغ الذى يستحقون عليه التهنئة الحارة الصادقة .

الحل الأخير

اخراج استوديو مصر

لم يكن أصحاب شركات السينما الناشئة فى مصر يعنون فى الروايات التى يخرجونها بالموضوع والمغزى . ولعلهم لا يرون الموضوع عنصراً مهماً فى روايات السينما . وبحسبهم العناية بالمناظر والاخراج ، وأن يكون الممثلون من الشخصيات المعروفة . فكانت رواياتهم خالية من المغزى أو هى ذات مغزى تافه ، وكان ذلك من أهم المآخذ التى تؤخذ عليهم

نذكر هذا أمام التحدث عن رواية الحل الأخير التى عرضت بسينما رويال ، وهى الرواية الثانية لاستديو مصر ، وهى من الروايات المصرية القليلة التى تتضمن مغزى وتدور حول فكرة ، وموضوعها من صميم الحياة . يسرد المؤلف حوادثها فى تسلسل طبيعى حتى ينتهى إلى المغزى الاجتماعى الذى يرمى إليه ؛ والمخرج صور هذه الحوادث على طبيعتها من غير تهويل ولا خروج عن الحقيقة . وقد فهم الممثلون ما يرمى إليه المؤلف فقاموا بأدوارهم كأنهم أبطالها الحقيقيون لا ممثلون على الشاشة البيضاء ، فتم بذلك التعاون بين التأليف والاخراج والتمثيل على تصوير الغرض وابراز الحقيقة

ولم يجر المؤلف فى هذه الرواية على عادة كثير من المؤلفين فى وضع الأدوار والمواقف لتناسب أشخاصا معينين ، بل وضع روايته كما يقتضى انسجام الحوادث، ثم اختار لها الممثلين الموافقين فجاءت منسجمة متماسكة

وعمل المخرج على ابراز هذه الحقيقة فوجه عنايته إلى تنسيق المشاهد تنسيقا طبيعيا أكسبها روعة وجلالا ، وتجنب المواقف المصطنعة او المناظر المستفزة للشاعر

وتعد هذه الرواية بحق مثلا يحتذى فى روايات السينما المصرية وتدل على اتجاه استوديو مصر إلى الاتقان فى صناعة السينما ، وقد تنبه إلى أهم عنصر من عناصر النجاح فى الروايات ، وهو الموضوع والمغزى ، فانه الأثر الذى تتركه الرواية فى نفوس الجمهور ؛ والحوادث التى لا تخرج عن مجال الحقيقة الرائعة إلى التهويل والمبالغة تشعر الجمهور بروعة الحياة الطبيعية التى يعيش فيها إحساسه وفكره

فلعل المتصدين لصناعة السينما يلتفتون إلى هذه الحقائق ويعملون بها ، متجهين إلى الفن فى ذاته ، نابذين غير ذلك من الوسائل التى لا تغنى ولا تجدى

(ع)